رسالة في السماع والرقص

جمع

الشيخ محمد بن محمد المنبجي الحنبلي

علق عليها وخرج أحاديثها

محمد صبحي حسن حلاق

دار ابن حزم

رسالة
في
السماع والرقص

رسالة في السماع والرقص

جمع

الشيخ محمد بن محمد المنبجي الحنبلي

علق عليها وخرج أحاديثها

محمد صبحي حسن حلاق

دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار ابن حزم

للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص ب : ١٤/٦٣٦٦

مُقَدِّمَةُ المُحَقِّق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أمـا بعـد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبـعـد:

فإن موضوع «السماع والرقص» جدير بالقـراءة والتدبـر لمعرفـة حكم الإسلام فيه، لالتباس هذا الأمر على بعض الناس، ولأن كثيراً من النفـوس قد فُتنت بـأنواع

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١.

محرمة من السماع والرقص، واستساغت بذلك الآثام والمعاصي، غير عابئةٍ بأمر أو نهي أو موعظة، فابتعدت بذلك عن النهج القويم والطريق المستقيم الذي أراده الله سبحانه وتعالى.

وأول من فعل ذلك الصوفيون الذين كانوا يحضرون مجلس (السماع) وهو الاجتماع في مكان معين لسماع منشد صاحب صوت حسن مع استعمال الإيقاع الموسيقي، ينشد قصائد الزهد وترقيق القلوب، ثم تطوروا إلى إنشاد قصائد الغزل وذكر (ليلى) و(سعدى) ويقولون نحن نقصد بذلك رسول الله ﷺ، هذه القصائد التي تهيج الحب المطلق، الحب غير المعين، فكلٌ يأخذه حسب هواه وما يعتلج في قلبه من حب الأوطان أو حب النساء...

وقد أباح لهم هذا السماع أبو حامد الغزالي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وغيرهم، واحتجوا بأشياء واهية ضعيفة، وليس هذا موضع مناقشة حكم الإسلام في الغناء، فقد رد عليهم العلماء مثل: ابن قيم الجوزية في مناقشة هذا الموضوع في كتابه «إغاثة اللهفان»[1]، وتبقى الحقيقة أن الأمة المسلمة أمة جادة ولا يحلل هذا الغناء إلاَّ من لا يفقه الإسلام حق الفقه.

ولم يقتصر الأمر على هذه القصائد بل تطور إلى ذكر الله بالرقص والدف والغناء، وعندما تقام (الحضرة)[2]، تبدأ التراتيل بذكر اسم الله المفرد (الله) بصوت واحد ولكن عندما يشتد الرقص... يتحول اسم الله إلى (هو) ثم لا تسمع بعدها إلاَّ همهمة، وقد تجتمع مع هذا الصراخ والقفز في الهواء أخلاط الناس من النساء والأولاد لرؤية هذا (التراث الشعبي).

حقاً إنها مهزلة اتبعوا فيها سنن الذين من قبلنا فقد جاء في مزامير العهد القديم عن اليهود: «ليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص، بدف

---

(١) (١/٢٢٤ ـ ٢٦٨).

(٢) مصطلح عند الصوفية يعني الاجتماع على ذكر الله بالرقص على شكل حلقة يكون الشيخ في وسطها وكأنه قائد..

وعود، سبحوه برباب، سبحوه بصنوج الهتاف[1]»[2].

جاء في «ترتيب المدارك»[3] للقاضي عياض رحمه الله: «قال التِّنِّيسيُّ: كنا عند مالك وأصحابُه حوله، فقال رجل من أهل نَصِيبِين: عندنا قوم يقال لهم: الصوفية، يأكلون كثيراً، ثم يأخذون في الصيام، يأكلون كثيراً، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقُصون؟ فقال مالك: أصبيانٌ هم؟ قال: لا، قال: أمجانينُ هم؟ قال: لا، هم قومٌ مشايخ، وغيرُ ذلك، عقلاء، فقال مالك: ما سمعتُ أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا!!

فقال له الرجل: بل يأكلون، ثم يقومون ويرقصون دَوَائبَ، ويلطم بعضُهم رأسَه، وبعضُهم وجهه، فضحِك مالك ثم قام فدخل منزله، فقال أصحابُ مالك: لقد كنتَ يا هذا مشؤوماً على صاحبنا، لقد جالسناه نيِّفاً وثلاثين سنة، ما رأيناه ضحِك إلاَّ في هذا اليوم»اهـ.

وجاء في «فتح الباري»[4] لابن حجر رحمه الله: «قال ـ أي القرطبي المحدِّث أبو العباس أحمد بن عمر شيخ القرطبي صاحب التفسير ـ: وأما ما ابتدعتهُ الصوفية في ذلك، فمن قَبيل ما لا يُختَلَفُ في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غَلَبَتْ على كثير ممن يُنسَبُ إلى الخير، حتى لقد ظهرَتْ من كثير منهم فَعَلاتُ المجانين والصبيان، حتى رقصُوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقُح بقومٍ منهم إلى أن جعلوها من باب القُرَب وصالحِ الأعمال، وأنَّ ذلك يُثمِرُ سَنِيَّ الأحوال. وهذا على التحقيق: من آثار الزندقة، قولُ أهل المَخْرَقة، والله المستعان»اهـ.

قال الحافظ ابن حجر عقِبَه: «وينبغي أن يُعكَسَ مُرادُهم، ويُقرأ: «يُثمِرُ سَيِّىءَ الأحوال عِوَضَ سَنِيِّ الأحوال»اهـ.

---

(١) «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل. ص ١٤٣.

(٢) «الصوفية نشأتها وتطورها» لمحمد العبده، وطارق عبد الحليم. ص ٨٩ ـ ٩٠.

(٣) (٢/٥٤).

(٤) (٢/٤٤٢ ـ ٤٤٣).

قلت: فالذكر الذي يقوم به بعضُ الناس، بحركات موزونةٍ مرتبة، وترنيمات متصنّعة مُطرِبة، وقَفْزٍ ووَثْبٍ، ونَطٍّ وجَذْب، وانحناء للأمام ورفع، والتفات عنيف ودفع، فالفِطَرُ السليمة تنبو عنه، والقلبُ الخاشعُ يتبرأ منه... وما عُهِدَ فعلُه من السلف في القرون المشهود لها بالخير. وصدق قول الشاعر[1] فيهم:

ألا قُلْ لهم قولَ عبدٍ نَصوح ... وحقُّ النصيحة أن تُستمَعْ:
متى علم الناسُ في ديننا ... بأن الغِنا سنةٌ تُتَّبَعْ؟
وأن يأكلَ المرءُ أكل الحمارِ ... ويرقُص في الجمع حتى يقع؟
وقالوا: سَكِرنا بحبِّ الإلهِ ... وما أسكر القومَ إلاَّ القِصَع
كذاك البهائم إن أُشبعت ... يُرقِّصها ريُّها والشِّبَع
ويسكره النَّايُ، ثم الغِنا ... ويَسنُ لو تُليتْ ما انْصَدَع
فيا للعقولِ، ويا لِلنُّهَى ... ألا مُنكِرٌ منكمُ للبدع؟
تُهانُ مساجدُنا بالسماع ... وتُكرَمُ عن مثل ذاك البِيَع؟

وأخيراً لنستمع لمؤلف رسالتنا هذه لبيان السماع المشروع والممنوع، والتحذير من الأضرار الجسيمة، والآثار السيئة التي يجلبها السماع المحرم، وخطأ مَنْ اتخذه طريقة من طرق العبادة، أو وسيلة من وسائل الدعوة وهداية الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) هو ظهير الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن نصر الموصلي. وقد أورد ابن خلكان في تاريخه هذه القصيدة في ترجمته (١/ ٣٧ ــ ٣٨) مع زيادة.
وكذلك أوردها الحافظ ابن كثير في الجزء الثالث عشر من البداية والنهاية. وأوردها ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٣١).

ترجمة المؤلف

هو محمد بن محمد بن محمد بن محمود الصالحي المنبجي، الحنبلي (شمس الدين أبو عبد الله) محدث، فقيه، سمع الحديث، وأفتى ودرّس وكان يكتسب من حانوت له، وتوفي في رمضان (٧٨٥هـ)[1]. من آثاره: جزء في الطاعون وأحكامه[2].



---

(١) وفي شذرات الذهب (٦/٢٣٦): (٧٧٤هـ).

(٢) معجم المؤلفين. وضع عمر رضا كحالة (١١/٢٩٥).

منهجي في تحقيق الرسالة وتخريجها

١ ــ قدمت للرسالة مقدمة قصيرة.

٢ ــ ترجمت بإيجاز شديد للمؤلف رحمه الله.

٣ ــ عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع الضبط.

٤ ــ خرجت الأحاديث من مصادرها المختلفة، وذكرت رقم الجزء والصفحة، ورقم الحديث، مع ضبط متن الحديث.

٥ ــ بينت مرتبة كل حديث من الصحة والضعف غالباً.

٦ ــ شرحت الكلمات الغريبة والعبارات الغامضة.

٧ ــ أضفت تعليقات هامة لتوضيح المعاني والغايات التي يتوخاها المؤلف رحمه الله تعالى.

٨ ــ وضعت عناوين لكل فقرة. ووضعتها ضمن قوسين هكذا [].

٩ ــ ترجمت لبعض أعلام الرسالة.

١٠ ــ وضعت فهرساً لموضوعات الرسالة.

١١ ــ ألحقت مصادر التحقيق والتخريج في آخر الرسالة.

١٢ ــ وضعت فهرساً للأعلام.

١٣ ــ وضعت فهرساً للطوائف والفرق.

اللهم لـــك أسلمت، وبك آمنتُ، وعليــكَ تـوكلتُ، وإليــك أنبتُ، وبــك خـاصمتُ، وإليـك حـاكمتُ، فـاغفـر لي مـا قـدمتُ ومـا أخــرتُ، ومـا أســررتُ وما أعلنتُ. أنت إلَهي، لا إله إلاَّ أنت، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

صنعاء، الاثنين ٢ رجب ١٤١٢هـ

٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢م

[مُقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

● سُئل شيخ الإسلام بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه[1] عن صفة (سماع الصالحين) ما هو؟ وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة هو من القرب والطاعات، أم هو محرم أو مباح[2].

● فأجاب: الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين، وأشهدُ أنْ لا إلَه إلَّا الله وحدَهُ لا شريكَ له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم. أصلُ هذه (المسألة) أن يُفَرَّقَ بين السماع الذي يُنتفَعُ به في الدين وبين ما يُرخصُ فيه رَفعاً للحرج، وبين سماع المتقربين وسماع المتلعبين. فأما السماع الذي شرعه الله لعباده وكان سلفُ الأمةِ من الصحابةِ والتابعين،

---

(١) هو شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي بل المجتهد المطلق.

ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة وقدِم به والده وبأخويه ــ عند استيلاء التتار على البلاد ــ إلى دمشق سنة سبع وستين وستمائة. وتوفي رحمه الله معتقلاً بقلعة دمشق سنة (٧٢٨هـ) فخرجت دمشق كلها في جنازته.

وانظر ترجمته في «شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه. .» لابن تيمية بتحقيقنا.

(٢) كما في «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، بمساعدة ابنه محمد (٥٥٧/١١).

وتـابعيهم يجتمعون عليـه لصلاح قلوبهم، وزكـاة نفوسهم ــ فهـو سمـاع آيـات الله. وهـو سمـاع النبيين والمؤمنين، وأهـل العلم، وأهل المعرفة. فإن الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبيـاء عليهم السلام في قوله:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩) ﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾[4].

● ● ●

---

(١) سورة مريم: الآية (٥٨).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٣) سورة الإسراء: الآيات (١٠٧ ــ ١٠٩).

(٤) سورة المائدة: الآية (٨٣).

[أمر الله تعالى بالسماع للقرآن]

وبهذا السماع أمر الله تعالى في قوله:

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

وعلى أهله أثنى تعالى كما في قوله تعالى:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[2].

وقال تعالى في الأخرى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[3].

فالقول الذي أمروا بتدبره هو الذي أُمروا بسماعه وقال تعالى:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾[4].



[ذم الله المعرضين عن السماع للقرآن]

وكما أثنى تعالى على هذا السماع ذم تعالى المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٠٤).

(٢) سورة الزمر: الآيتان (١٧ ـ ١٨).

(٣) سورة محمد: الآية (٢٤).

(٤) سورة ص: الآية (٢٩).

(٥) سورة لقمان: الآية (٧).

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴾[3] .

وقال تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾[4] .

وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[5] .

---

(١) سورة فصلت: الآية (٢٦).

(٢) سورة الفرقان: الآية (٣٠).

(٣) سورة المدثر: الآيات (٤٩ ــ ٥١).

(٤) سورة فصلت: الآية (٥).

(٥) سورة الإسراء: الآيتان (٤٥ ــ ٤٦).

وهـذا هو السمـاع الذي شـرعه الله للمسلمين في صلواتهم وخطبهم كصلاة الفجر وصلاة العشاءين وفي غير ذلك.



[اجتماع النبي ﷺ وصحابته على السماع المشروع]

وعلى هـذا السماع كـان أصحاب رسـول الله ﷺ يجتمعون وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم يقرأ والباقي يستمعون، وكان عمر يقول لأبـي موسى ذكِّرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون[1].

وهذا هو السماع الذي كان النبـي ﷺ يشهده مع أصحابـه ويستـدعيـه منهم كمـا في الصحيحين[2] عن عبـد الله بن مسعـود أن النبـي ﷺ قـال له: «إقرأ عليَّ»، قال: قلتُ أقـرأ عليك وعليـكَ أُنزل، قال: «إني أُحِبُّ أن أسمعـه من غيري»، فقرأت عليـه سـورة النساء حتى وصلتُ إلى هذه الآية:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[3].

قال: «حسبك فإذا عيناه تذرفان».

وهذا هو الذي كان النبـي ﷺ يسمعه وأصحابـه. كما قـال تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[4].

---

(١) انظر «حلية الأولياء» لأبـي نعيم (١/٢٥٨).

(٢) البخاري (٩/٩٨ رقم ٥٠٥٥) ومسلم (١/٥٥١ برقم ٢٤٧/٨٠٠).

قلت: وأخرجه أبو داود (٤/٧٤ رقم ٣٦٦٨) والترمذي (٥/٢٣٨ رقم ٣٠٢٥).

(٣) سورة النساء: الآية (٤١).

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٦٤).

والحكمة هي السنَّة. وقال تعالى:

﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[1].

وكذلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم قال تعالى:

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

وكذلك يحتج عليهم يوم القيامة كما قال تعالى:

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ... ﴾[3] الآية.

وقال تعالى:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ ... ﴾[4] الآية.

● ● ●

---

(١) سورة النمل: الآيتان (٩١ ـ ٩٢).
(٢) سورة الأعراف: الآية (٣٥).
(٣) سورة الأنعام: الآية (١٣٠).
(٤) سورة الزمر: الآية (٧١).

[السماع المأذون فيه]

وقد أخبر الله تعالى أن المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح والمعرض ضال شقي. قال الله تعالى:

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا[1] وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ ﴾[2] الآية.

وقال تعالى:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) ﴾[3].

وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذي أنزله الله كما قال تعالى:

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾[4].

وقال تعالى:

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾[5].

---

(١) الضنك: الضيق في كل شيء للذكر والأنثى [القاموس المحيط: ص ١٢٢٣].

(٢) سورة طه: الآيات (١٢٣ ـ ١٢٥).

(٣) سورة الزخرف: الآية (٣٦).

(٤) سورة الأنبياء: الآية (٥٠).

(٥) سورة الأعراف: الآية (٦٣) والآية (٦٩).

وقـال:

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾(1).

وقال تعالى:

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾(2).

وقال تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾(3).

وقال تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(4).

وقال تعالى:

﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾(5).

● ● ●

[الآثار الإيمانية للسماع المأذون فيه]

وهذا السماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية، والأحوال الزكية، ما يَطولُ شرحُها ووصفُها. وله في الجسد آثارٌ محمودةٌ من خشوعِ القلب ودموعِ العين، واقشعرارِ الجلد. وهذا مذكورٌ في القرآن، وهذه الصفات موجودة في الصحابة ووجدت بعدهم آثار ثلاثة من الاضطراب: الصراخ والإغماء والموت في التابعين.

---

(1) سورة الحجر: الآية (٦).

(2) سورة الأنبياء: الآية (٢).

(3) سورة الزخرف: الآية (٤٤).

(4) سورة التكوير: الآية (٢٧).

(5) سورة يس: الآية (٦٩).

وبالجملة فهذا السماع هو أصلُ الإيمان فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح، ومن أعرض عن ذلك ضَلَّ وشقي.



[سماع المكاء والتصدية]

وأما سماع المكاء والتصدية. فالتصدية هي التصفيق بالأيدي. والمكاء مثل الصفير ونحوه. فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله:

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾(١).

فأخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت بالفم قربة وديناً. ولم يكن النبي ﷺ وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع، ولا حضروه قط. ومن قال إن النبي ﷺ حضر ذلك فقد كذب عليه، باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنّته. والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي(٢) في (مسألة السماع) وفي (صفة التصوف) ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السُّهْرَوردي(٣) صاحب (عوارف المعارف) (أن

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٣٥).

(٢) هو محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، أبو الفضل، رحَّالة مؤرخ، من حفاظ الحديث. مولده ببيت المقدس سنة (٤٤٨هـ) ووفاته ببغداد سنة (٥٠٧هـ). له تصانيف كثيرة: منها: تذكرة الموضوعات. والجمع بين كتابي الكلاباذي والأصبهاني في رجال الصحيحين. وصفوة التصوف. وكان داووديَّ المذهب.

[الأعلام للزركلي (١٧١/٦) ولسان الميزان (٢٠٧/٥ ــ ٢١٠ رقم ٧٢٦)].

(٣) هو يحيى بن حَبش بن أميرك، أبو الفتوح، شهاب الدين، السُّهْرَوردي فيلسوف، اختلف المؤرخون في اسمه، ولد في سهرورد (من قرى زنجان في العراق العجمي) سنة =

النبـي ﷺ أنشده أعرابـي:

قـد لسعَتْ حية الهـوى كبدي ... فـلا طـبيـب لهـا ولا راقـي
إلاَّ الحبيب الـذي شُغِفْتُ بـه ... فـعنـده رقـيتـي وتـريـاقـي

فتـواجد حتى سقـطت البردة عن منكبيـه، فقـال معـاويـة: ما أحسن لهوكم فقال: مهلاً يا معاويـة ليس بكريم من لم يتـواجد عنـد ذكر الحبيب)[1]. هو حديث مكـذوب موضوع باتفـاق أهـل

= (٥٤٩هـ). ونشأ بمراغة، وسافـر إلى حلب، فنسب إلى انحلال العقيـدة، وكان علمـه أكثر من عقله. فأفتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي، وخنقـه في سجنه بقلعـة حلب سنة (٥٨٧هـ) من مؤلفاته: (هياكل النور) و(رسالة في اعتقاد الحكماء) وغيرها..

[الأعلام للزركلي (٨/ ١٤٠) ولسان الميزان (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٨ رقم ٥٥٣)].

(١) أخرجه السُّهْـرَوردي في (عوارف المعـارف) ص ١٢٠ ـ ١٢١ من طريق أبـي بكـر عمار بن إسحاق، قال: ثنا سعيد بن عـامر، عن شعبـة، عن عبد العـزيز بن صهيب، عن أنس بـه. وقال: فهذا الحديث أوردناه مسنـداً كما سمعنـاه ووجدنـاه، وقد تكلم في صحتـه أصحاب الحـديث، وما وجـدنا شيئـاً نقل عن رسـول الله ﷺ يشاكـل وجد أهـل الـزمـان وسمـاعهم واجتمـاعهم وهيئتهم، إلاَّ هذا، ومـا أحسنه من حجـة للصوفيـة وأهل الـزمان في سمـاعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها أن لو صح، ويخالـج سري أنـه غير صحيـح، ولم أجد فيـه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه وما كانـوا يعتمدونـه على ما بلغنـا في هذا الحـديث، ويأبـى القلب قبوله.

قلت: والمتهم بهـذه القصة «عمـار بن إسحاق» هـذا فقد قـال الذهبـي في تـرجمتـه (٣/ ١٦٤ رقم ٥٩٨٢): «كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها: لسعت حية الهوى كبدي، فإن الباقين ثقات».

وأورده ابن عراق في «تنزيـه الشريعـة» (٢/ ٢٣٣ رقم ٧٢) وذكر كـلام الحفاظ الـدال على بطلانه.

وأورده الـزركشي في «التـذكـرة» ص ٢١٣ وقـال: «هـذا كـذب بـاتفـاق أهـل العلم بالحديث، لكن قد رواه بعضهم، وهو من الأكاذيب الموضوعة». اهـ.

وأورده السيوطي في «الدرر المنتثرة» (ص ١٩٧ رقم ٤٨٢) وقال: «أخـرجه الـديلمي من حديث أنس، وقال: تفرَّد به أبو بكر عمار بن إسحاق». اهـ.

العلم بهذا الشأن. وأظهر منه كذباً حديث آخر يذكرون فيه (أنه لما بُشِّرَ الفقراءُ بسبقهم للأغنياء إلى الجنة[1] تواجدوا وخرقوا أثوابهم، وأن جبريل نزل من السماء فقال: يا محمد، إن ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق فأخذ منه خرقة فعلقها بالعرش وأن ذلك هو زيق[2] الفقراء)[3]. وهذا وأمثاله إنما يرويه من هو من أجهل الناس بحال النبي ﷺ وأصحابه ومن بعدهم بمعرفة الإيمان والإسلام وهو شبيه برواية من روى (أن أهل الصُّفة[4]

---

(١) يشير المؤلف إلى الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (١٣٨١/٢ رقم ٤١٢٣) عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ، قال: «إن فُقَرَاءَ المهاجرينَ يدخلون الجنةَ قبلَ أغنيائِهم، بمقدارِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ».

وأخرجه أحمد في المسند (٦٣/٣ و٩٦) من طريقين عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، يقوي أحدهما الآخر، وله شواهد:

(أحدها): عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يدخُلُ فقراءُ المؤمنينَ الجنةَ قبلَ الأغنياء، بنصفِ يومٍ خمسمائة عَامٍ» أخرجه ابن ماجه (١٣٨٠/٢ رقم ٤١٢٢) وأحمد في المسند (٢٩٦/٢، ٣٤٣، ٤٥١، ٥١٣، ٥١٩) بسند حسن.

وصححه ابن حبان (ص ٦٣٦ رقم ٢٥٦٧ ــ موارد).

(٢) والزِّيق ما كُفَّ من جانب الجيب، وزيق القميص ما أحاط بالعنق.

[القاموس المحيط (ص ١١٥٢)].

(٣) أما تواجد الفقراء وخرقهم الثياب ونزول جبريل... إلخ. فقد قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) (٥٨/١١ ــ ٥٩): «أن النبي ﷺ لما قال: «إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم» أنشدوا شعراً وتواجدوا عليه، فكل هذا وأمثاله إفك مفترى، وكذب مختلق باتفاق أهل الاتفاق من أهل العلم والإيمان، لا ينازع في ذلك إلاَّ جاهل ضال. وإن كان قد ذكر في بعض الكتب شيء من ذلك فكله كذب باتفاق أهل العلم والإيمان». اهـ.

(٤) أهل الصفة هم زهاد من الصحابة فقراء غرباء، وكانوا سبعين ويقلون حيناً ويكثرون حيناً، ويسكنون صُفَّة المسجد وهو موضع مظلل في مسجد المدينة لأنهم لا مسكن لهم ولا مال ولا ولد...».

[بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني. لأحمد عبد الرحمن البنا (١١٥/١٩)].

وقال ابن تيمية في «منهاج السنَّة النبوية» (٤٣٨/٧): «كانت الصُّفة منزلاً ينزل بها من =

قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم حنين، أو غير يوم حنين، وأنهم قالوا نحن مع الله من كان معه كنا معه)[1]. ومن روى (أن صبيحة المعراج وجد أهل الصُّفة يتحدثون بسر كان الله أمر نبيه أن يكتمه فقال لهم: من أين لكم هذا فقالوا: الله علمنا إياه فقال: يا رب ألم تأمرني أن لا أفشيه فقال: أمرتك أنت أن لا تفشيه ولكن أنا أعلمتهم به)[2]. ونحو هذه الأحاديث التي يرويها طوائف منتسبون إلى الدين مع فرط جهلهم بدين الإسلام، ويبنون عليها من النفاق والبدع ما يناسبها.

وتارة يسقطون التوسط بالرسول وأنهم يصلون إلى الله من غير طريق الرسول مطلقاً وهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى فإن أولئك أسقطوا وساطة رسول واحد ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقاً. وهؤلاء إذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقاً عن أنفسهم، كان هذا أغلظ من كفر أولئك، لكنهم يقولون: لا تسقط الوساطة إلاَّ

= لا أهل له من الغرباء القادمين، وممن دخل فيهم: سعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة وغيرهما من صالحي المؤمنين..». اهـ.

(١) قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤٧/١١): «وأما من قال إن أحداً من الصحابة أهل الصُّفة أو غيرهم أو التابعين أو تابعي التابعين قاتل مع الكفار، أو قاتلوا النبي ﷺ، أو أصحابه، أو أنهم كانوا يستحلون ذلك، أو أنه يجوز ذلك، فهذا ضالٌّ غاوٍ، بل كافر يجب أن يستتاب من ذلك، فإن تاب وإلاَّ قتل. ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرسولَ من بعدِ ما تبينَ لَهُ الهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبيلِ المؤمنينَ نُولِهِ ما تولَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّم وساءَتْ مصيراً﴾ [النساء: ١١٥] بل كان أهل الصُّفة وغيرهم كالقراء الذين قنت النبي ﷺ يدعو على من قتلهم، من أعظم الصحابة إيماناً وجهاداً مع رسول الله ﷺ، ونصراً لله ورسوله...». اهـ. وانظر «منهاج السنَّة النبوية» (٤٣٢/٧).

(٢) قال ابن تيمية عن هذا الحديث في «مجموع الفتاوى» (٥٤/١١):

«كذب واضح؛ فإن أهل الصُّفة لم يكونوا إلاَّ بالمدينة؛ لم يكن بمكة أهل صفة، والمعراج إنما كان من مكة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [الإسراء: ١].

عن الخاصة لا عن العامة فيكونون أكفر من أهل الكتـاب من جهة إسقـاط السفارة مـطلقاً عنهم. وفي بعض الأحـوال وأهل الكتـاب أكفر من جهة إسقاط السفارة مطلقاً بل أهل الكتاب الذين يقـولون إنه رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب خير من هؤلاء فإن أولئـك أخرجوا عن رسالته من لـه كتاب وهؤلاء يخـرجون عن رسـالته من لا يبقى معه إلَّا خيالات ووساوس وظنون ألقاها إليـه الشيطان مـع ظنه أنه من خواص أولياء الله وهو من أشد أعداء الله.

وتـارة يجعلون هذه الآثـار المختلقة حجـة فيما يفتـرونه من أمور تخالف دين الإسلام، ويَدَّعون أنها من أسرار الخواص، كما يفعله الملاحدة[1] والقرامطة[2] والباطنية[3].

---

(١) يقصد بهم ابن تيمية أصحاب الطرق الصوفية من القـائلين بأقـوال مخالفـة للإسـلام كأتبـاع ابن عربـي، وابن سبعين وغيرهـم. [«منهاج السنَّة النبوية» (٢/ ٨١)].

(٢) القـرامطة: حـركة بـاطنية ظهـرت سنة (٢٧٨هـ) في العـراق على يد (حَمْـدان قِرْمِط) بعـد اتصاله بأحد دعاة الباطنية. يقوم مـذهبهم على القول بـإلَٰهين قديمين لا أول لـوجودهمـا من حيث الـزمان إلَّا أن أحـدهما علة لـوجود الثـاني، واسم العلة السابق والمعلول ـ التـالي، والنبـي عبارة عن شخص فاضت عليـه من السابق بقـوة التالي قـوة قدسيـة صافيـة، واتفقوا على أنـه لا بد في كـل عصر من إمـام معصـوم يساوي النبي في العصمـة، وهم ينكـرون البعث والمعاد ويستبيحون المحظورات، ويجعلون لكل نص ظـاهراً وبـاطناً يؤولـونه حسب معتقـدهم وهواهم. وقـد نشطت تلك الحـركة الخبيثـة وكثر أتبـاعها فـأغـارت على البلدان ونهبت الأمـوال وهتكت الأعراض حتى أنهم هـاجموا مكـة المكـرمـة سنـة (٣١٩هـ) فقتلوا أهلها ومن كان فيها من الحجاج وهدموا زمزم واقتلعوا الحجر الأسود وذهبوا به إلى الأحساء حتى سنة (٣٣٩هـ) حيث أعيد إلى مكانه.

[انظر القرامطة لابن الجوزي. تحقيق: محمد الصباغ. وكتـاب: أخبار القـرامطة في الأحساء والشام واليمن والعراق. جمع وتحقيق ودراسة. د. سهيل زكار].

(٣) الباطنية هم الذين جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطناً، ولكل تنزيل تأويلًا. وظهرت دعوتهم في أيام المأمون من (حَمْدان قِرْمِط)، ومن عبد الله بن مَيْمُـون القَدَّاح، وليست البـاطنية من فرق ملة الإسلام، بل هي من فرق المجوس...».

[الفرق بين الفرق. لعبد القاهر البغدادي ص ٢٢].

وتارة يجعلونها حُجَّةً في الإعراض عن كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ إلى ما ابتدعوه من اتخاذ دينهم لهواً ولعباً.



[منع الاجتماع على الملاهي من غناء ونحوه]

وبالجملة قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يشرع لصالحي أمته وعُبَّادِهم وزُهَّادِهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالأكف أو ضرب بالقضيب أو الدُّف[1] كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة لا في باطن الأمر، ولا في ظاهره، لا لعامي ولا لخاص ولكن رَخَّصَ النبي ﷺ في أنواع من اللهو في العرس ونحوه، كما رخص للنساء أن يَضْربن بالدَّف في الأعراس والأفراح. وأمَّا الرجالُ على عهده فلم يكن أحدٌ منهم يضرب بدف، ولا يصفق بكف، بل قد ثبت عنه في الصحيح[2] أنه قال: إنما (التَّصفيق للنساءِ والتسبيحُ للرجالِ) (ولَعَنَ المتشبهاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرجالِ والمتشبيهنَ من الرجالِ بالنِّساءِ)[3] ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء. كان السلف يسمون من يفعل ذلك مخنثاً ويسمون الرجال المغنين مخانيث وهذا مشهور في كلامهم.

---

(١) الدُّفُّ، والدَّفُّ: الذي يضرب به النساء وفي المحكم الذي يُضرب به والجمع دُفُوف. [القاموس المحيط ص ١٠٤٧].

(٢) البخاري (٧٧/٣ رقم ١٢٠٤) ومسلم (٣١٦/١ رقم ٤٢١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري (٧٧/٣ رقم ١٢٠٣) ومسلم (٣١٨/١ رقم ٤٢٢).

وأبو داود (٥٧٨/١ رقم ٩٣٩) والترمذي (٢٠٥/٢ رقم ٣٦٩).

والنسائي (١١/٣ و١٢) وابن ماجه (٣٢٩/١ رقم ١٠٣٤).

كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٢/١٠ رقم ٥٨٨٥) وأبو داود (٣٥٤/٤ رقم ٤٠٩٧) والترمذي (١٠٥/٥ رقم ٢٧٨٤) وابن ماجَهْ (٦١٤/١ رقم ١٩٠٤) كلهم من حديث ابن عباس.

(ومن هـذا الباب) حـديث عائشـة رضي الله عنها لمـا دخل عليها أبو بكر في أيام العيد وعندها جاريتان من الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث[1] فقال أبو بكر: (أَبِمُـزْمُورِ الشيـطان في بيتِ رسـولِ اللَّهِ ﷺ ـ وكـان النبـي ﷺ معـرضـاً عنـه مقبـلاً بوجهه إلى الحـائط فقال: دَعْهُمـا يا أبـا بكر فـإن لكل قـومٍ عيداً وهـذا عيدنـا أهل الإسلام)[2]، ففي هـذا الحـديث بيـان أن هـذا لم يكن من عادة النبي ﷺ وأصحابه الاجتماع عليـه ولهذا سَمَّـاه الصِّـديقُ أبو بكـر رضي الله عنه مـزمور الشيـطان، والنبـي ﷺ أَقَرَّ الجواري عليه مُعَلِّلاً ذلكَ بأَنَّهُ يومُ عيـد والصغار يُـرخصُ لهم في اللعب في الأعيـاد، كما جـاء في الحديث (ليعلم المشـركـون أن في ديننـا فسحـة)[3] وكمـا كـان لعـائشـة لُعَب تلعب بهن وتجيء صواحباتها من صغار النسوة يَلعَبن معها.

وليس في حديث الجاريتين أنَّ النبـيَّ ﷺ استمـعَ إلى ذلك، والأمـرُ والنهيُ إنما يتعلق بـالاستماع لا بمجـرد السمـاع كمـا في الرؤية فإنه إنما يتعلق بقصد الرؤية لأنها يحصل منها بغير الاختيار وكذلك في اشتمام الطيب إنما يُنْهىٰ المُحْرم عن قصد الشم، فأما

---

(١) هو يوم من أيام العرب في الجاهلية وقعت فيه الحرب بين الأوس والخـزرج، وكان الـظهور فيـه للأوس. (انـظر أيام العـرب في الجاهليـة (ص ٧٣) لمحمد جـاد المـولى وزمـلائـه ـ ط: دار التراث العربـي).

(٢) أخـرجـه البخـاري (٢/٤٤٠ رقم ٩٤٩) وأطـرافـه (رقم ٩٥٢ و٩٨٧ و٢٩٠٧ و ٣٥٣٠ و ٣٩٣١) ومسلم (٢/٦٠٧ ـ ٦١٠ رقم ١٦ ـ ٢١/٨٩٢) من حـديث عـائشـة رضي الله عنها.

(٣) أخرجـه أحمـد في المسنـد (٦/١١٦ و٢٣٣) وأورده العجلوني في «الكشف» (١/٢٥١) وعزاه للديلمي وأحمد، وحسن إسناده.

وأورده ابن حجـر في الفتـح (٢/٤٤٤) وسكت عليــه. كلهم من حـديث عـائشـة رضي الله عنها بلفظ: «لِتَعْلَمَ يهودُ أن في ديننا فسحة، وإني بعثت بالحنيفية السمحة».

إذا شم ما لا يقصده فإنه لا إثم عليه. وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس الخمس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس إنما يتعلق الأمر والنهي في ذلك بما للعبد فيه قصد وعمل، وأما ما يحصل بغير اختياره فلا أمر فيه ولا نهي وهذا مما وجِّه به الحديث الذي في السنن حديث ابن عمر (أنه كان مع النبي ﷺ فسمع صوت زمارة راعٍ فعدل عن الطريق وقال: هل تسمع؟ حتى انقطع الصوت)[1]، فإن من الناس من يقول بتقدير صحة الحديث لم يأمر ابن عمر بسد أُذنيه فيجاب بأن ابن عمر لم يكن يستمع وإنما كان يسمع وهذا لا إثم فيه وإنما النبي ﷺ عدل طلباً للأكمل والأفضل كمن اجتاز بطريق فسمع قوماً يتكلمون بكلام مُحَرَّم فسدَّ أُذنيه كيلا يسمعه، فهذا حسن ولو لم يسد أذنه لم يأثم بذلك، اللَّهم إلَّا أن يكون في سماعه ضرر ديني لا يندفع إلَّا بالسد.



[الاختلاف في حكم السماع]

وبالجملة فهذه مسألة السماع تكلم فيها كثير من المتأخرين في السماع هل هو محظور؟ أو مكروه؟ أو مباح؟ وليس المقصود بذلك رفع الحرج بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقاً إلى الله يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب، والتشويق إلى المحبوب، والتخويف من المرهوب والتحزين على فوات المطلوب، يستنزل به الرحمة ويستجلب به النعمة، ويحرك به مواجيد أهل الإيمان ويستجلي به مشاهد أهل العرفان حتى يقول بعضهم إنه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/٢٢٢ ـ ٢٢٣ رقم ٤٩٢٤ و ٤٩٢٥ و ٤٩٢٦) وأحمد في المسند (٢/٨ و ٣٨) وإسناده حسن. وانظر المختصر للمنذري (٧/٢٣٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

عدة وجوه؛ وحتى يجعلونه قوتاً للقلوب، وغذاء لـلأرواح وحاديـاً للنفوس يحدوها على المسير إلى الله عز وجل ويحثها على الإقبال عليه. ولهذا يوجد من اعتاده واغتذى به لا يحب القرآن ولا يفـرح به ولا يحدي في سماع الآيات كما يحدي في سمـاع الأبيات، بل إذا سمعـوا القرآن سمعـوه بقلوبٍ لاهية وألسن لاغيـة وإذا سمعوا سماع أهل المكاء والتصدية خشعت الأصوات وسكنت الحـركات وأصغت القلوب، وتعاطت المشروب. فمن تكلم في هذا هل هو مكروهٌ أو مباحٌ وشبهه بما كان النساء يُغنين به في الأعياد والأفـراح لم يكن قد اهتدى إلى الفرق بين طريق أهـلِ الخسارةِ والفـلاح، ومن لم يتكلم في هذا هل هو من الدين ومن سمـاع المتقين ومن أحوال المقربين والمقتصـدين ومن أعمال أهـل اليقين ومن طريق المحبين المحبـوبين ومن أفعال السـالكين إلى رب العالمين كـان كـلامـه فيـه من وراء وراء[1] بمنـزلـة من سئـل عن علم الكـلام المختلف فيـه، هل هـو محمود أو مـذموم فـأخذ يتكلم في جنس الكلام وانقسامـه إلى الاسم والفعل والحـرف، أو يتكلم في مدح الصمت أو في أن الله أباح الكلام والنطق وأمثال ذلك مما لا يمس المحل المشتبه المتنازع فيه.



[عدم اجتماع أحد في القرون المفضلة على سماع المكاء والتصدية]

وإذا عـرف هـذا فـاعلم أنـه لم يكن في القـرون الثـلاثـة المفضلة لا بـالحجاز ولا بـالشام ولا بـاليمن ولا بمصـر والمغـرب والعـراق وخراسـان من أهل الـدين والصلاح والـزهد والعبـادة من يجتمـع على مثل سمـاع المكاء والتصـديـة لا بـدف، ولا بكف، ولا بقضيب وإنما حدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الأئمة أنكروه.

---

(١) توكيد لفظي مقطوع عن الإضافة.

[إنكـار الأئمـة لسمـاع المكـاء والتصدية]

فقال الشافعي رضي الله عنـه: خلفت ببغداد شيئاً أحدثتـه الزنادقـة يسمونـه (التغبير)[1] يصـدون به النـاس عن القرآن، وقـال يزيد بن هـارون[2] ما يغبر إلَّا فاسق ومتى كان التغبير. وسُئِلَ عنهُ أحمـد فقال أكـرهه، هـو محدث. قيـل: أنجلس معهم قال: لا، وكـذلك سـائر أئمـة الدين كـرهـوه، وأكـابـر الشيـوخ الصـالحين لم يحضروه، فلم يحضره مثل إبراهيم بن أدهم[3] ولا الفضيل بن

---

(١) «قال الأزهري: وقد سَمَّوْا مـا يُطَرِّبـون فيه من الشِّعْـر في ذكر الله تَغْبيـراً كأنهم إذا تَنَـاشدُوهُ بـالألحان طَـرَّبوا فـرَقَّصوا وأرْهجـوا فسُمّوا مُغَبِّـرة لهذا المعنى. قـال الأزهري: وروينـا عن الشـافعي رضي الله عنه، أنـه قال: أرى الـزَّنادِقـة وَضَعوا هـذا التَّغْبِير لِيَصُـدّوا عن ذكـر الله وقـراءة القرآن. وقـال الزجـاج: سُمّوا مُغَبِّـرين لتزهيـدهم الناس في الفـانية، وهي الـدنيا، وترغيبهم في الآخرة الباقية»اهـ. [لسان العرب: (٩/١٠)].

(٢) هو يزيد بن هارون بن وادي ويقال زاذان بن ثابت السلمي مولاهم أبو خالد الـواسطي أحـد الأعلام الحفاظ المشاهير، قيل أصله من بخارى.

قال ابن المديني هو من الثقات. وقال في موضع آخر: ما رأيت أحفظ منه.

وقـال ابن معين: ثقة. وقـال العجلي: ثقـة ثبت في الحـديث، وكـان متعبـداً حسن الصلاة جداً. وقال ابن حجر: ثقة متقن عابد، من التاسعـة. مات سنـة ست ومائتين وقـد قارب التسعين. . .

[تهـذيب التهذيب (١١/ ٣٢١ ـ ٣٢٣ رقم ٦١٢) وتقـريـب التهذيب (٢/٣٧٢ رقم ٣٤٠) وتاريخ الثقات للعجلي (ص ٤٨١ رقـم ١٨٥٩)].

(٣) هو الإمام القدوة، سيد الزُّهاد، إبراهيم بن أدْهَم بن منصور بن يـزيد بن جـابر، أبـو إسحاق العِجلي، وقيل التميمي، الخُراساني البَلْخي، نزيل الشام. مولده في حـدود المئة. وتـوفي سنة اثنتين وستين ومئة.

[التاريخ الكبير (١/٢٧٣) والجرح والتعديل (٢/٨٧) وحليـة الأولياء (٧/٣٦٧ وحتى ٨/٥٨) وشذرات الذهب (١/٢٥٥ ـ ٢٥٦)].

عياض[1] ولا معروف الكرخي[2] ولا أبو سليمان الداراني[3] ولا أحمد بن أبي الحواري[4] ولا السري السقطي[5] وأمثالهم.
والذين حضروه من الشيوخ من المحمودين تركوه في آخر أمرهم وأعيان المشايخ عابوا أهله كما ذكر ذلك الشيخ عبد القادر[6]

---

(١) هو الإمام القدوة الثبتُ، شيخ الإسلام، الفضيل بن عياض، أبو علي التميمي، اليَرْبوعي الخراساني، المجاور بحرم الله، ولد بسمرْقَند، ونشأ بأبِيْوَرْدَ، وارتحل في طلب العلم. وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً زاهداً كثير الحديث. ومات سنة (١٨٧هـ).
[الجرح والتعديل (٧/٧٣) وحلية الأولياء (٨/٨٤) وتذكرة الحفاظ (١/٢٤٥)].

(٢) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد أعلام الزهاد المتصوفين وهو من جلة المشايخ وقدمائهم، والمذكورين بالورع والفتوة، كان أستاذ سري السقطي. توفي سنة (٢٠٠هـ). ولابن الجوزي كتاب في أخباره وآدابه.
[الأعلام (٧/٢٦٩) وطبقات الحنابلة (١/٣٨١ ـ ٣٨٩ رقم ٤٩٨) وتاريخ بغداد (١٣/١٩٩) وطبقات الصوفية للسلمي(ص ٨٣ ـ ٩٠)].

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العبسي الداراني ـ وداريا قرية من قرى دمشق ـ كان أحد عباد الله الصالحين، ومن الزهاد المتعبدين ورد بغداد وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام فأقام بداريا حتى توفي، ولا أحفظ له حديثاً مسنداً غير حديث واحد، لكن له حكايات كثيرة يرويها عنه أحمد بن أبي الحواري الدمشقي. مات أبو سليمان سنة خمس ومائتين أو سنة خمس عشرة ومائتين.
[تاريخ بغداد (١٠/٢٤٨ ـ ٢٥٠) وحلية الأولياء (٩/٢٥٤ ـ ٢٨٠ رقم ٤٥٦)]

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري، الزاهد الكبير، كان من كبار المحدثين والصوفية، وأجل أصحاب أبي سليمان الداراني مات سنة ثلاثين ومائتين.
[طبقات الصوفية (ص ٩٨) وشذرات الذهب (٢/١١٠)].

(٥) هو سَرِيُّ بن المغَلِّس السَّقطِيُّ، أبو الحسن البغدادي، صحب معروفاً الكرخِيَّ ويقال إنه خالُ الجنيد وأستاذه.
مات سريّ السقطيُّ سنة إحدى وخمسين ومائتين.
[حلية الأولياء (١٠/١١٦ ـ ١٢٨) وشذرات الذهب (٢/١٢٧) وطبقات الصوفية ص ٤٨ ـ ٥٥].

(٦) هو عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله، عبد الله ابن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الحوزي بن عبد الله المحصن =

والشيخ أبو البيان[1] وغيرهما من الشيوخ.



[ذكر بعض من رغب في هذا السماع ودعا إليه]

وما ذكره الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه من إحداث الزنادقة[2] من كلام إمام خبير بأصول الإسلام فإنَّ هذا السماع لم يرغب فيه ويدع إليه في الأصل إلَّا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي[3] والفارابي[4] وابن سينا[5] وأمثالهم كما ذكر أبو

= ابن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الجيلاني. نسبة إلى جيل وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان وبها ولد، ويقال لها أيضاً جيلان وكيلان. ولد سنة (٤٧٠هـ) ودخل بغداد، فسمع الحديث وتفقه، وتوفي بها سنة (٥٦١هـ) وهو صوفي تنسب إليه الطريقة القادرية.

[معجم المؤلفين (٥/٣٠٧ ـ ٣٠٨) وشذرات الذهب (٤/١٩٨ ـ ٢٠٢)].

(١) هو نبا بن محمد بن محفوظ القرشي المعروف بابن الحوراني الشيخ أبو البيان شيخ الطائفة البيانية (من المتصوفة) بدمشق توفي سنة (٥٥١هـ) [الأعلام (٨/٦)].

(٢) ورد في كتاب «جامع العلوم في اصطلاحات الفنون» (٢/١٥٧): ما يلي: «الزندقة أن لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق... وعن ثعلب أن الزنديق معناه: الملحد والدهري، وعن ابن دريد: أنه فارسي معرب وأصله زنده، وهو من يقول بدوام الدهر. وفي شرح المقاصد: «وإن كان باعترافه بنبوة النبي ﷺ وإظهار شعائر الإسلام يُبطِن العقائد التي هي كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق وهو في الأصل منسوب إلى «زند» اسم كتاب أظهره «مزدك» في أيام «قباذ» وزعم أنه تأويل كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت يزعمون أنه نبيهم».

ولمزيد من التفصيل انظر كتاب «من تاريخ الإلحاد في الإسلام» عبد الرحمن بدوي ص ٣٥.

(٣) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي العالم المشهور، له مقالة في علم الكلام، وكان من الفضلاء في عصره ونسبته إلى روائد. توفي سنة ٢٤٥هـ) [وفيات الأعيان]: (١/٩٤)].

(٤) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي، الحكيم المشهور صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم، وهو أكبر فلاسفة المسلمين. توفي بدمشق سنة (٣٣٩هـ). [وفيات الأعيان (٥/١٥٣)].

(٥) هو الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي شرف الملك، الفيلسوف الرئيسي، صاحب =

عبد الرحمن السلمي[1] في مسألة السماع عن ابن الراوندي أنه قال: اختلف الفقهاء في السماع فأباحه قوم وكرهه قوم وأنا أوجبه أو قال آمر به فخالف إجماع العلماء في الأمر به وأبو نصر الفارابي كان بارعاً في الغناء الذي يسمونه (الموسيقا) وله فيه طريقة معروفة عند أهل صناعة الغناء وحكايته مع ابن حمدان[2] مشهورة[3] لما ضرب فأبكاهم ثم أضحكهم ثم نومهم ثم خرج. وابن سينا ذكر في إشاراته في (مقامات العارفين) من الترغيب فيه، وفي عشق الصور، ما يناسب طريقة أسلافه الصابئين المشركين، الذين كانوا يعبدون الكواكب، والأصنام كأرسطو وشيعته من اليونان ومن اتبعه كبرقلس، وثامسطيوس، والإسكندر الأفروديسي وكان أرسطو وزير الإسكندر بن فيلبس المقدوني، الذي تؤرخ له اليهود والنصارى وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة. وأما ذو القرنين المذكور في القرآن الذي بنى (السد) فكان قبل هؤلاء بزمان طويل وأما الإسكندر الذي وزر له أرسطو فإنه

= التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، ولد في إحدى قرى بخارى سنة (٣٧٠هـ) وتوفي سنة (٤٢٨هـ) كان من القرامطة الباطنيين. [وفيات الأعيان (٢/١٥٧) والأعلام (٢/٢٤١)].

(١) هو محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري الصوفي الحافظ، شيخ الصوفية، صحب جده أبا عمر بن نجيد، وسمع الأصم وطبقته، وصنف التفسير والتاريخ وغير ذلك، وبلغت تصانيفه مائة. توفي سنة (٤١٢هـ).
[شذرات الذهب (٣/١٩٦)].

(٢) هو سيف الدولة الحمداني علي بن عبد الله بن حمدان، الأمير المشهور، وكانت ولادته يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة، سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل سنة إحدى وثلاثمائة، وتوفي يوم الجمعة ثالث ساعة، وقيل رابع ساعة، لخمس بقين من صفر سنة ست وخمسين وثلاثمائة بحلب. [وفيات الأعيان (٣/٤٠١)].

(٣) انظر حكاية الفارابي مع سيف الدولة الحمداني لما حضر الفارابي بمجلس سيف الدولة في كتاب وفيات الأعيان (٥/١٥٥).

إنما بلغ بلاد خُراسان[1] ونحوها في دولة الفرس لم يصل إلى السد وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع وابن سينا أحدث فلسفة ركبها من كلام سلفه اليونان ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية[2] ونحوهم وسلك طريق الملاحدة الإسماعيلية[3] في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومزجه بشيء

---

(١) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قَصَبَةُ جوَيْن وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارَستان وغُزْنة وسجستان وكرْمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أُمَّهات من البلاد. منها: نَيْسابور وهراة ومَرْو وهي كانت قَصَبَتَها ــ أي وسطها ــ وبلْخ وطالقان ونَسا وأبِيوَرْد وسَرَخْس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون... انظر [معجم البلدان: «٢/٣٥٠ ــ ٣٥٤»].

(٢) الجهمية: أتباع جهم بن صفوان الضال المبتدع تلميذ الجعد بن درهم أول من صدر عنه القول بخلق القرآن.

قال عبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» ص ٢١١: عن جهم: «الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدَان وتفنيَان. وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال: لا فِعْلَ ولا عمل لأحدٍ غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز».

(٣) الإسماعيلية: حركة باطنية. سميت بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذي لم تعترف الشيعة الاثنا عشرية بإمامته...

واشتدت ضربات العباسيين للحركات الشيعية بعد فشل ثورة محمد الملقب بذي (النفس الزكية) مما اضطرهم للاختفاء والتكتم..

وقد وضع عبد الله بن ميمون القداح أساس الدعوة الإسماعيلية السبعية التي تختم الإمامة بإسماعيل بن جعفر الصادق..

أما عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة فملخصة بما يلي: «لا يعترف الإسماعيليون بما نقله لنا رسول الله ﷺ من حقائق الدين، لأن العقل هو الأول بنظرهم وليس الله هو الذي دبر الكون وأرسل الرسل والوحي إلى الأنبياء. فالوصي بنظرهم. هو ما قبلته نفس الرسول من العقل الكلي وقبله العقل من باريه تعالى»اهـ. [الإسماعيلية. تاريخ وعقائد. إحسان إلهي ظهير].

من كلام الصوفية وحقيقته تعود إلى كلام إخوانه الإسماعيلية القرامطة الباطنية فإنَّ أهل بيته كانوا من أتباع الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمانه ودينهم دين أصحاب (رسائل إخوان الصفا)(١) وأمثالهم من أئمة منافقي الأمم الذين ليسوا مسلمين، ولا يهود ولا نصارى وكان الفارابي قد حذق في حروف اليونان التي هي تعاليم أرسطو وأتباعه من الفلاسفة المشائين وفي أصولهم صناعة الغناء ففي هذه الطوائف من يُرَغِّبُ الله ويجعله مما تزكو به النفوس وترتاض به وتُهذبُ به الأخلاق.



[ابتعاد الحنفاء عن السماع المحرم]

وأما الحنفاءُ أهل ملة إبراهيم الخليل الذي جعله الله للناس إماماً وأهل دين الإسلام لا يقبل الله من أحد ديناً غيره، المتبعون لشريعة خاتم الرسل محمد ﷺ تسليماً فهؤلاء ليس منهم من يُرَغِّبُ في ذلك ولا يدعو إليه. وهؤلاء هم أهل القرآن والإيمان والهدى والرشاد والسعد والفلاح وأهل المعرفة والعلم واليقين والإخلاص لله والحب له والتوكل عليه والخشية منه والإنابة إليه.



[وَهْم البعض في حضور السماع المحرم]

ولكن قد حضره أقوام من أهل الإرادة وممن له نصيب في المحبة لما فيه من التحريك لهم، ولم يعلموا غائلته(٢) ولا عرفوا مغبته(٣) كما أدخل قوم من الفقهاء أهل الإيمان بما جاء به

---

(١) التي بلغت خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة عِلْمِيّها وَعَمَلّيها. وكتموا فيها أسماءهم وبثوها في الورّاقين ووَهبوها للناس. وقد كتبت بأسلوب سهل قريب من الأفهام.

وقد نشأ إخوان الصفا في العراق، في القرن الهجري الرابع، وذلك من باب الظن لا من باب اليقين، أما مذهبهم فهم شيعة باطنية أو إسماعيلية. وغاية مذهبهم مجهول لا يصرحون به، لأنهم يسترون وراءه دعوة سياسية.

[انظر «إخوان الصفا» درسٌ ـ عرضٌ ـ تحليلٌ. للدكتور عمر فروخ].

(٢) أي لم يعلموا ما فيه من أمر منكر وداهية [لسان العرب (١٠/١٤٦)].

(٣) أي عاقبته وآخره [مختار الصحاح ص ١٩٦].

الرسول ﷺ في أنواع من كلام الفلاسفة المخالف لدين الإسلام ظناً منهم أنه حق موافق ولم يعلموا غائلته، ولا عرفوا مغبته فإن القيام بحقائق الدين علماً وقولاً وعملاً وذوقاً وخبرة لا يستقل به أكثر الناس.



[وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة]

ولكن الدليل الجامع هو الاعتصام بالكتاب والسنة فإن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً. وقد قال تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[2].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (خطَّ لَنَا رسُولُ اللَّهِ ﷺ خطًّا وخطَّ خطوطاً عَنْ يمينِه وَشِمالِهِ ثم قال: هذا سبيل الله وهذه سُبُل على كُلِّ سَبِيلٍ مِنْها شَيْطَانٌ يَدْعُو إليه ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾[3].



(١) سورة المائدة: الآية (٣).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٥٣).

(٣) أخرجه الدارمي (١/٦٧ ـ ٦٨) والبغوي في شرح السنة (١/١٩٦ رقم ٩٧) والحاكم (٢/٣١٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وابن أبي عاصم في «السنة» (١/١٣ رقم ١٧)، والمروزي في «السنة» رقم (١١ و١٢). كلهم من حديث عبد الله بن مسعود.
=

[أضرار سماع المكاء والتصدية]

ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلب منفعة ولا مصلحة إلاَّ وفي ضمن ذلك من الضلال والمفسدة ما هو أعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد يفعل في النفوس أعظم ما تفعله حميا الكؤوس. ولهذا يورث أصحابه سكراً أعظم من سكر الخمر فيجدون لذة كما يجد شارب الخمر، بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر، ويصدهم ذلك عن ذكر الله أعني الصلاة أعظم مما يصدهم الخمر ويوقع بينهم العدواة والبغضاء أعظم من الخمر حتى يقتل بعضهم بعضاً من غير مس بيد بل بما يقترن بهم من الشياطين فإنه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تتنزل عليهم الشياطين في تلك الحال ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجني على لسان المصروع إما بكلام من جنس كلام الأعاجم الذين لا يفقه كلامهم كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم ويكون الإنسان الذي لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذلك بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم وإما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى وهذا يعرفه أهل المكاشفة شهوداً وعياناً وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط فإن

= وإسناده حسن، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير عاصم بن بهدلة.

قال الحافظ في «التقريب»: صدوق له أوهام.

● وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله. أخرجه أحمد في المسند (٣/٣٩٧) وابن أبي عاصم في السنة (١/١٣ رقم ١٦) وابن ماجه (١/٦ رقم ١١) والمروزي في «السنة» (رقم: ١٣).

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٤٤ رقم ٥): «هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد بن سعد». قلت: مجالد: ضعيف. وباقي رجاله ثقات.

والخلاصة أن الحديث صحيح. وقد صححه المحدث الألباني في ظلال الجنة.

الشياطين تلبس أحدهم بحيث يسقط إحساس بدنه، حتى إن المصروع يضرب ضرباً عظيماً وهو لا يحس، ولا يؤثر في بدنه فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين، فتدخل بهم النار وقد تطير بهم في الهواء وإنما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كالمصروع وبالمغرب ضرب من الزُّط[1] يقال لأحدهم المصلي يلبسه الشياطين ويدخلها ويطير في الهواء ويفعل أشياء أبلغ مما يفعله هؤلاء وهم من الزط الذين لا خلاق لهم والجن تخطف كثيراً من الإنس وتغيبه عن أبصار الناس وتطير به في الهواء وقد باشرنا من هذه الأمور ما يطول وصفه وكذلك هؤلاء المتولهون المنتسبون إلى بعض الشيوخ إذا حصل لهم وجد سماعي عند سماع المكاء والتصدية منهم من يصعد في الهواء ومنهم من يدخل النار ويأخذ الحديد المحمى بالنار يضعه على بدنه وأنواع من هذا الجنس ولا تحصل لهم هذه الأفعال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند قراءة القرآن لأن هذه عبادات شرعية إيمانية إسلامية نبوية محمدية تطرد الشياطين وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين.



[وجوب الاقتداء بالكتاب والسنة في كل شيء]

وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلاَّ وقد حَدَّث به ولا شيئاً يبعد عن النار إلاَّ وقد حدث به وأن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فإن الله يقول:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾[2] الآية.

---

(١) الزُّطُّ: جيل أَسْوَدُ من السِّنْدِ إليهم تُنسب الثياب الزُّطِّيَّةُ وقيل جيل من أهل الهند. [انظر (لسان العرب) (٦/٤٢)].

(٢) سورة المائدة: الآية (٣).

وإذا وجد السامع به منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله لم يلتفت إليه كما أن الفقيه إذا رأى قياساً لا يشهد له الكتاب والسنة لم يلتفت إليه.



[ثلاث قواعد في فصل النزاع في حكم السماع]

وفصل النزاع في حكم مسألة السماع ثلاث قواعد من أهم قواعد الإيمان والسلوك فمن لم يبن عليها فبناؤه على شفا جرف هار.

(القاعدة الأولى): أن الذوق والحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه بحاكم آخر أو متحاكم إليه فهذا منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة حيث جعلوه حاكماً يتحاكمون إليه فيما هو صحيح فاسد فجعلوه حكماً بين الحق والباطل فنبذوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص وحكموا الأذواق والحال والمواجيد فعظم الفساد وطمست معالم الإيمان والسلوك المستقيم والعجب أنهم دخلوا في الرياضات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها فانتقلوا من شهوات إلى شهوات أكبر منها ومن حظوظ إلى حظوظ أعظم. منها وكان حالهم في الشهوات التي انتقلوا عنها أكمل خيراً من هؤلاء لأنهم لم يعارضوا بها العلم ولا قدموها على النصوص ولا جعلوها قربة وديناً، واقفون مع حظوظهم من الله، فانون بها عن مراد الله، وإنما زهدوا في حظ إلى حظ أعلا منه وتركوا شهوة بشهوة، فليتدبر اللبيب هذا في نفسه وفي غيره فكل ما خالف مراد الله الديني من العبد فهو حظه وشهوته ذوقاً كان أو حالاً أو وجداً أوْ لا أو صورة ونحو ذلك فمن قدمه على مراده فهو أسوأ حالاً ممن يعترف أن يعصيه ويحبه، وأن مراد الله أولى بالتقديم منه، وأنه ذنب تجب التوبة منه.

(القاعدة الثانية): أنه إذا وقع النزاع في حكم فعل من الأفعال أو حال أو ذوق هل هو صحيح أو فاسد أو حق أو باطل وجب الرجوع فيه إلى الحجة المقبولة عند الله من كتاب الله وسنة رسوله فهذا هو الأساس ومن لم يَبْنِ على هذا الأصل فعلمُه وسلوكُه ليس على شيء.

(القاعدة الثالثة): إذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الإباحة أو التحريم فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته فإن كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته، بل يقطع أن الشرع يحرمه لا سيما إذا كان طريقه مفضياً إلى ما يبغضه الله ورسوله فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثلِ رأس الإبرة من المسكر[1] لأنه يشوقُ النفسَ إلى المسكر الذي يشوقُها إلى المحرمات، ثم يبيح ما هو أعظم منها شوقاً للنفوس إلى المحرم بكثير، فإن الغناء كما قال ابن مسعود[2]

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤/٨٧ رقم ٣٦٨١) والترمذي (٤/٢٩٢ رقم ١٨٦٥) وأحمد (٣/٣٤٣) وابن ماجه (٢/١١٢٥ رقم ٣٣٩٣) وابن الجارود في المنتقى (رقم: ٨٦٠) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/٢١٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/٢٩٦).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أسكرَ كثيرُه فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ».

قال الترمذي: حديث حسن غريب. قلت: داود بن بكر بن الفُراتِ، حسن الحديث، ولم يتفرد به، بل تابعه: موسى بن عقبة، عن ابن المنكدر. أخرجه ابن حبان (ص ٣٣٦ رقم ١٣٨٥ ــ موارد).

والخلاصة أن الحديث صحيح والله أعلم.

(٢) وقال ابن مسعود أيضاً: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل» أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٢٣) موقوفاً عليه من طريق ابن أبي الدنيا ــ في ذم الملاهي له ــ من طريقين عن ابن مسعود. وأورده ابن قيم الجوزية في إغاثة اللهفان (١/٢٤٨) وقال: هو صحيح عن ابن مسعود من قوله.

هو رقية الزنا وقد شاهد الناس أنه ما عاناه صبي إلَّا وفسد ولا امرأة إلَّا وبغت ولا شاب ولا شيخ إلَّا وقع في محذور.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فصل الخطاب في هذا الباب ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج فإنهم ينشدون أشعاراً يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك فسماع تلك الأشعار مباح وفي معنى هؤلاء الغزاة فإنهم ينشدون أشعاراً يحرضون بها على الغزو وفي هذا المعنى إنشاد المتبارزين للقتال وقد قال الرسول ﷺ لحاديه: «رويدَك سَوْقاً بالقوارير». وقال عبد الله بن رواحة يمدح النبي ﷺ:

وفينا رسولُ اللَّهِ يتلو كتابَهُ ... إذا انشقَّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ
يبيتُ يُجافي جنبه عن فراشِه ... إذا استثقلتْ بالمشركينَ المضاجعُ
أرانا الهدى بعد العَمَى فقلوبُنا ... بِهِ موقناتٌ أنَّ ما قال واقعُ[1]

وروي عن النبي ﷺ أنَّهُ خَرَجَ على أهل الصّفة وفيهم واحد يقرأ والباقي يستمعون فجلس معهم[2].



[آراء الأئمة في الغناء المجرد عن آلات اللهو]

وقال الشيخ في موضع[3]: «ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللهو: هل هو حرام أو مكروه أو مباح؟ وذكر أصحاب أحمد لهم في ذلك ثلاثة أقوال وذكرنا عن الشافعي قولين ولم يذكروا عن أبي حنيفة ومالك في ذلك نزاعاً. وذكر زكريا ابن يحيى

---

(١) ذكر الأبيات البخاري في صحيحه عن عبد الله بن رواحة في موضعين الأول: (٣/٣٩) والثاني (١٠/٥٤٦) وكذلك ذكرها القرطبي في «الجامع» (٥/٢٠٩).
(٢) لم أعثر عليه، ولينظر من أخرجه؟!!
(٣) من الفتاوي (١١/٥٧٧).

الساجي[1] وهو أحد الأئمة المتقدمين من المائلين إلى مذهب الشافعي أنه لم يخالف من الفقهاء المتقدمين إلاَّ إبراهيم بن سعد[2] من أهل المدينة وعبيد الله بن الحسن العنبري[3] من أهل البصرة وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي[4] وأبو القاسم القشيري[5] وغيرهما عن مالك وأهل المدينة في ذلك فغلط وإنما وقعت به لأن بعض أهل المدينة كان يحضر السماع إلاَّ أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم.

• • •

---

(١) هو أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن البصري المعروف بالساجي، منسوب إلى ساج وهو نوع من الخشب الجيد، قال الشيخ أبو إسحاق: كان أحد الأئمة الفقهاء الحفاظ الثقات، أخذ العلم عن الربيع والمزني وصنف كتاب اختلاف الفقهاء، وكتاب علل الحديث. توفي بالبصرة سنة سبع وثلاثمائة.

[طبقات الشافعية الكبرى (٣/٢٩٩ رقم ١٨٦) ولسان الميزان (٢/٤٨٨)].

(٢) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أبو إسحاق الزهري من العلماء بالحديث الثقات، من أهل المدينة المنورة كان يبيح السماع ويضرب على العود ويغني عليه. ولد سنة (١٠٩هـ) وولي القضاء ببغداد. وتوفي بها سنة (١٨٤هـ).

[الأعلام (١/٤٠) وتاريخ بغداد (٦/٨١، ٨٦) وفيه الاختلاف في تاريخ وفاته].

(٣) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبري القاضي.

وذكره ابن حبان في الثقات (٧/١٥٢) وقال: كان فقيهاً.

وقال عنه ابن حجر في التقريب (١/٥٣١): ثقة فقيه لكن عابوا عليه مسألة تكافؤ الأدلة. وانظر تهذيب التهذيب (٧/٧ ـ ٨).

(٤) تقدمت ترجمته قريباً.

(٥) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري أبو القاسم، ولد سنة (٣٧٦هـ) توفي أبوه وهو طفل فنشأ وقرأ الأدب والعربية وكان يهوى مخالطة أهل الدنيا فحضر عند أبي علي الدقاق فجذبه عن ذلك فسمع الفقه من أبي بكر محمد بن بكر الطوسي ثم اختلف إلى أبي بكر بن فورك فأخذ عنه الكلام وصار رأساً في الأشاعرة، وصنف التفسير الكبير وخرج إلى الحج في رفقة فيها أبو المعالي الجويني، وأبو بكر البيهقي، فسمع معهما الحديث ببغداد والحجاز ثم أملى الحديث وكان يعظ وتوفي سنة (٤٦٥هـ).

=

[لا دين إلاّ ما شرعه الله]

وقال شيخ الإسلام[1] أيضاً وجماع الأمر في ذلك أنه إذا كان الكلام في السماع وغيره، هل هو طاعة وقربة؟ فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك وإذا كان الكلام: هل هو محرم أو غير محرم؟ فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك إذ لا حرام إلاّ ما حرمه الله ولا دين إلاّ ما شرعه الله، والله تعالى سبحانه ذمَّ المشركين على أنهم ابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله وأنهم حرموا ما لم يحرمه الله قال الله تعالى:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا . . .﴾[3] الآية.

قال أبو سليمان الداراني[4] إنه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلاّ بشاهدين الكتاب والسنة وقال أيضاً ليس لمن أُلهم شيئاً من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر فإذا سمع بأثر كان نوراً على نور وقال الجنيد[5]: علمُنا هذا مقيدٌ بالكتاب

= [تاريخ بغداد (١١/٨٣) ومعجم المؤلفين (٦/٦ ـ٧) وشذرات الذهب (٣/٣١٩ ـ ٣٢٢)].

(١) في الفتاوي (١١/٥٨٣).
(٢) سورة الشورى: الآية (٢١).
(٣) سورة الأعراف: الآية (٢٨).
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز، ويقال القواريري، كان أبوه قواريرياً وكان هو خزازاً، وأصله من نهاوند إلاّ أن مولده ومنشأه ببغداد، سمع الحسن بن عرفة وتفقه على أبي ثور، وكان يفتي بحضرته وهو ابن عشرين سنة، وصحب جماعة من أهل

والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح لـه أن يتكلم في علمنا. وقال: سهل بن عبد الله التستري[1] كل وَجْدٍ لا يشهد لـه الكتاب والسنـة فهو بـاطل وقـال: كل عمـل على اقتـداء فهـو عذابٌ على النفس، وكل عمل بلا اقتـداء فهو عيش النفس. وقـال أبو عثمان النيسابوري[2]: من أمَّرَ السنة على نفسه قولاً وفعـلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة.

وقال أبو الفرج بن الجوزي[3]: اعلم أن سماع الغناء يجمـع شيئين: (أحـدهمـا): أن يُلْهِى القلب عن التفكـر في عـظمـة الله تعالى والقيام بخـدمته. (والثـاني): أن يُميلَه إلى اللذات العاجلة ويدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمهـا النكاح وليس تمـام لـذتـه إلاّ في المتجـددات ولا سبيـل إلـى كثـرة المتجددات من الحِلّ فلذلـك يحث على الزنـا فبين الغناء والـزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس.

= الخيـر، واشتهر بصحبـة الحارث المحـاسبي، وسـري السقـطي ولازم التعبـد وتكلم على طريقة التصوف. توفي في سنة (٢٩٧هـ).

[تاريخ بغداد (٧/٢٤١ ـــ ٢٤٩) وطبقات الصوفية (ص ١٥٥ ـ ١٦٣)].

(١) هــو سهـل بن عبـد الله بن يـونس بن عيسى بن عبـد الله بن رفيـع، أبــو محمـد التستــري أحـد أئمة القـوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الـريـاضـات والإخلاص، وعيـوب الأفعال توفي سنة (٢٨٣هـ) على الأرجح. [طبقات الصوفية صـ ٢٠٦ ـ ٢١١].

(٢) هـو أبو عثمـان، سعيد بن إسمـاعيل بن سعيـد بن منصـور الحيـري النيسـابـوري أصله من الري، كان في وقته من أوحد المشائخ في سيرته، ومنه انتشرت طريقة التصـوف بنيسابـور، مات سنة (٢٩٨هـ) [طبقات الصوفية ص ١٧٠ ـ ١٧٥].

(٣) هو جمال الدين، أبو الفـرج، عبد الـرحمن بن علي بن محمد القـرشي، التميمي البكري، البغـدادي، الفقيـه الحنبلي، الحـافظ، المفسـر، الـواعظ، المؤرخ، الأديب المعـروف بـابن الجوزي. ولدببغداد سنـة (٥١١هـ أو ٥١٢هـ) وتوفي ليلة الجمعـة بين العشـائين في داره سنـة (٥٩٧هـ). [تذكـرة الحفاظ (٤/١٣٤٢ ـ ١٣٤٨) وشـذرات الذهب (٤/٢٢٩ ـ ٣٣١)].

[السماع المحدث بدعة]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع من كلامه في السماع، وأما أبو حنيفة ومالك والثوري ونحوهم فهم أعظم كراهة وإنكاراً لذلك من الشافعي وأحمد.

وقال في موضع آخر ولم يحضره مثل إبراهيم بن أدهم[1] ولا الفضيل بن عياض[2] ولا معروف الكرخي[3] ولا السري السقطي[4] ولا أبو سليمان الداراني[5] ولا مثل الشيخ عبد القادر[6] والشيخ عدي[7] والشيخ أبي البيان[8] والشيخ حياة[9] وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء مثل الشيخ عبد القادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ.



[ما اشترط الصالحون لمن حضر السماع]

وقد حضره من المشايخ جماعة وشرطوا المكان والإمكان والخلان والشيخ الذي يحرس من الشيطان وأكثر الذين حضروه من المشايخ الموثوق بهم رجعوا عنه في آخر عمرهم كالجنيد[10]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) هو الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى الهكاري، من ذرية مروان بن الحكم الأموي، من شيوخ المتصوفين، تَنَسَّبَ إلى الطائفة العدوية، كان صالحاً ناسكاً مشهوراً، سار ذكره في الآفاق، ولد سنة (٤٦٧هـ) في بيت قار، وتوفي سنة (٥٥٧هـ).
[وفيات الأعيان (٣/٢٥٤) والأعلام (٤/٢٢١)].

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) هو الشيخ الكبير حياة بن قيس الحراني، سكن رحمه الله حران إلى أن توفي.
[شذرات الذهب (٤/٢٦٩)].

(١٠) تقدمت ترجمته.

فإنه كان يحضره وهو شاب وتركه في آخر عمره، وكان يقول من تَكَلَّفَ السماع فُتِنَ به ومن صادف السماع استراح به فقد ذم من يجتمع له ورخص فيمن يصادفه من غير قصد ولا اعتماد للجلوس له.



[الحكمة في عدم شرعية السماع المحدث]

وسبب ذلك أنه مجمل ليس فيه تفصيل فإن الأبيات المتضمنة لذكر الحب والوصل والهجر والقطيعة والشوق والصبر على العَذْل[1] واللوم ونحو ذلك هو قول مجمل يشترك فيه محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب الصلبان ومحب الإخوان ومحب الأوطان ومحب النسوان ومحب الصبيان فقد يكون فيه منفعة إذا هيج القاطن أثار الساكن وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله، لكن تكون فيه مضرة راجحة على نفعه كما في الخمر والميسر فإن فيهما إثماً كبيراً ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما[2] فلهذا لم تأتِ به الشريعة، فإن الشريعة لم تأتِ إلَّا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة، وأما ما تكون مفسدته غالبة على مصلحته فهو بمنزلة من يأخذ درهماً بدينار أو يسرق خمسة دراهم يتصدق منها بدرهمين وذلك أنه يهيج الوجد المشترك فيثير من النفس كوامن تضره آثارها ويغذي النفس ويقوتها به فتعتاض به عن سماع القرآن حتى لا يبقى فيها محبة لسامع القرآن ولا يلتذ به ولا يستطيبه بل قد يبقى في النفس بغض لذلك واستثقال به كمن يستثقل نفسه بتعلم التوراة والإنجيل وعلوم أهل الكتاب والصابئين[3] واستفادة

---

(١) العَذْل: الملامة. [مختار الصحاح ص ١٧٧].

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى الآية القرآنية من سورة البقرة الآية (٢١٩): ﴿يسألونكَ عن الخمرِ والميسرِ قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾.

(٣) الصابئة: مأخوذة من صبأ الرجل إذا مال وزاغ، وقد أطلقت عليهم هذه التسمية دلالة على =

العلم والحكمة منها فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنّة رسوله إلى أشياء أخر يطول ذكرها.

فلما كان هذا السماع لا يعطي بنفسه ما يحبه الله ورسوله من الأحوال والمعارف بل قد يصد عن ذلك ويعطي ما لا يحبه الله ورسوله بل ما يبغضه الله ورسوله لم يأمر الله به ولا رسوله ولا سلف الأمة ولا أعيان مشايخها.

والصوت يؤثر في النفس بحسب الأوقات تارة فرحاً وتارة حزناً وتارة غضباً وتارة رضاً، وإذا قوِيَ السكرُ بصوت اللذة المطربة من غير تمييز كما يحصل للنفس إذا سكرت بالصور، والجسدِ إذا سكر بالطعام والشراب، فإن السكر هو الطرب الذي يورث لذة بلا عقل، فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل الذي صد عن ذكر الله وعن الصلاة وأورث العداوة والبغضاء.



[حكم الرقص]

وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله، ولا أحد من الأئمة بل قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[1].

والرقص شيء من هذا وقال تعالى:

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[2].

= زيغهم وميلهم عن فطرة التوحيد إلى الشرك المحض.

[الملل والنحل، للشهرستاني (ص ٢٥٩)].

(١) سورة لقمان: الآية (١٨).

(٢) سورة لقمان: الآية (١٩).

وقال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[1].

أي بسكينة ووقار.



[عبادة المسلمين الركوع والسجود]

وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود بل الزَّفْنُ والرقص في الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الأمة بل أمروا في الصلاة بالسكينة والوقار ولو ورد على الإنسان حال يُغلب فيها حتى يخرج إلى حالة خارجة عن المشروع، وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن الكريم ونحوه لسلم إليه ذلك كما تقدم، فأما الذي إذا تكلفه من الأسباب ما لم يؤمر به مع علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه أنها تسكره، وإذا قال: ورد عليَّ حالٌ وأنا سكران قيل له: إذا كان السبب محظوراً لم يكن صاحبه معذوراً فهذه الأحوال الفاسدة من كان فيها صادقاً فهو مبتدع ضال من جنس خفر[2] التتر وأعوان الظلمة من ذوي الأحوال الفاسدة الذين ضاهوا عبادة النصارى والمشركين ببعض ما لهم من الأحوال ومن كان كاذباً فهو منافق ضال.



فصل

[الأمور التي استدل بها قوم على إباحة السماع]

وقد استدل قوم على إباحة السماع بأمور ألخصها لك: (منها) أنه مُستلَذٌّ طيبٌ تلتذ به النفوس وتستريح إليه، وأن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب بل بعض الصغار لا ينام حتى تحدو له القائمة بأمره والإبل تقاسي تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليها بالحداء.

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٦٣).

(٢) الخفير: المجير. فكل واحد منهم خفير لصاحبه. [لسان العرب: (١٥٢/٤)].

(ومنها) أن الصوت الطيب نعمة من الله على صاحبه وزيادة في خلقه، وقد يستدلون عليه بقوله تعالى:

﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[1].

وبأن الله تعالى ذم الصوت الفظيع فقال:

﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2].

(ومنها) أن الله وصف أهل الجنة أنهم في روضة يحبرون[3] وأن ذلك هو السماع الطيب، فكيف يكون حراماً وهو في الجنة.

(ومنها) ما ثبت أن الله تعالى ما أذِنَ لشيء كأَذَنه أي كاستماعه لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن[4].

(ومنها) أن أبا موسى الأشعري استمع النبي ﷺ لصوته وأثنى على حسن الصوت وقال: (لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود)[5]، وقال له أبو موسى: لو أعلم أنك استمتعت لحبرته

---

(١) سورة فاطر: الآية (١).

(٢) سورة لقمان: الآية (١٩).

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى في سورة الروم الآية (١٥): ﴿فأمّا الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ فهم في روضةٍ يُحْبَرُون﴾.

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٩/٦٨ رقم ٥٠٢٤) ومسلم (١/٥٤٥ رقم ٢٣٢/٧٩٢) وأبو داود (٢/١٥٧ رقم ١٤٧٣) والنسائي (٢/١٨٠ رقم ١٠١٨).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، يَبْلُغُ به النبي ﷺ قال: «ما أذِنَ اللَّهُ لشيءٍ، ما أذِنَ لنبيٍّ يتغنّى بالقرآن».

(٥) أخرجه البخاري (٩/٩٢ رقم ٥٠٤٨) ومسلم (١/٥٤٦ رقم ٧٩٣) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

لك تحبيراً[1] أي زينته وحسنته.

(ومنها) قوله ﷺ: زينوا القرآن بأصواتكم[2]. وقوله: ليس منا من لم يتغن بالقرآن[3]. والصحيح أنه من التغني وهو تحسين الصوت به كذا ذكره العلّامة ابن القيم وصححه ويعضده ما فسره الإمام أحمد فقال: يحسن صوته ما استطاع.

(ومنها) أن النبي ﷺ أقر عائشة على غناء القينتين يوم العيد وقال لأبي بكر: «دعهما فإن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا أهل الإسلام»[4].

(ومنها) أنه ﷺ أذن في العرس بالغناء وسماه لهواً[5].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في المسند (١٣/٢٦٦ رقم ٥٩/٧٢٧٩) من حديث أبي موسى. وهو حديث ضعيف.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/١٧١) وقال: «رواه أبو يعلى، وفيه خالد بن نافع الأشعري، وهو ضعيف». وأورده ابن حجر في «الفتح» (٩/٩٣). وانظر جامع الأصول (٩/٨٠) بتحقيق وتخريج الشيخ عبد القادر الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/١٥٥ رقم ١٤٦٨) والنسائي (٢/١٧٩ رقم ١٠١٥) وابن ماجه (١/٤٢٦ رقم ١٣٤٢) كلهم من حديث البراء بن عازب. وهو حديث صحيح.

[انظر «الصحيحة» للألباني (٢/٤١٤ رقم ٧٧١)].

(٣) أخرجه البخاري (١٣/٥٠١ رقم ٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة.

وأخرجه أبو داود (٢/١٥٦ رقم ١٤٧١) من حديث أبي لبابة بإسناد حسن.

وأخرجه أبو داود (٢/١٥٥ رقم ١٤٦٩) وأحمد (٣/٤٣ رقم ١٤٧٦ ـ شاكر) من حديث سعد بن أبي وقاص. وهو حديث صحيح.

(٤) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.

(٥) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه الطبراني في الأوسط ـ كما في «المجمع» (٤/٢٨٩) ـ عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «ما فعلت فلانة»؟ ليتيمةٍ كانت عندها فقلت: أهديناها إلى زوجها قال: «فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني» قالت: تقول ماذا؟ قال: «تقول:

=

(ومنها) أنه سمع رسول الله ﷺ الحداء وأذن فيه[1].

(ومنها) أنه كان يسمع إنشاد الصحابة وكانوا يرتجزون بين يديه في حفر الخندق[2].

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدا

= أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء ما سَمِنَت عذاريكم»

وقال الهيثمي: فيه «رواد بن الجراح» وثقه أحمد وابن معين وابن حبان وفيه ضعف.

قلت: وقد بين ضعفه الحافظ في التقريب (١/٢٥٣ رقم ١١٠) فقال: «صدوق اختلط بآخره فترك، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد». اهـ.

وللحديث طريق أخرى، يرويه الأَجْلَحُ عن أبي الزُّبَيْر عن جابر، عنها به نحوه، دون البيتين الأخيرين.

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٨٩) وأحمد (٣/٣٩١) بإسناد حسن لولا عنعنة أبي الزبير.

وأخرجه ابن ماجه (١/٦١٢ رقم ١٩٠٠) من طريق الأجْلَح عن أبي الزبير، عن ابن عباس عنها به نحوه، دون البيتين الأخيرين.

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٣٣٥ رقم ٦٨٤): «هذا إسناد رجاله ثقات إلَّا أن الأجلح مختلف فيه، وأبو الزبير قال فيه ابن عيينة: يقولون إنه لم يسمع من ابن عباس، وقال أبو حاتم رأى ابن عباس رؤية». اهـ. وهو حديث حسن.

وأصل الحديث عند البخاري (٩/٢٢٥ رقم ٥١٦٢) من طريق إسرائيل عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها زَفتِ امرأةً إلى رجُلٍ من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: «يا عائشة، ما كان معكم لهوٌ، فإنَّ الأنصارَ يُعجِبُهُم اللهو».

ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم (٢/١٨٣ ـ ١٨٤) وعنه البيهقي (٧/٢٨٨) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. فوهم الحاكم في استدراكه على البخاري.

(١) انظر أمثلة على ذلك في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/١٦١ ـ ١٦٢).

(٢) انظر أمثلة على ذلك في «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/٣٥٢ ـ ٣٨٠).

ودخل مكة والمرتجز يرتجز بين يديه بشعر عبد الله بن رواحة[1] وحدا به الحادي في منصرفه من خيبر[2] فجعل يقول:

والله لولا اللَّهُ ما اهتدَيْنا ولا تَصدَّقْنا ولا صَلَّينا

فأنزِلَنْ سكينةً علينا وثَبِّتِ الأقدام إن لاقينا

إن الذين قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

فدعا لقائله.

(ومنها) أنه سمع قصيدة كعب بن زهير وأجازه[3].

---

(١) يشير المؤلف إلى الحديث الذي أخرجه البزار (٢/٤٥٥ رقم ٢٠٩٩) عن أنس، قال: دخل رسول الله ﷺ في عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة آخذ بغرزه يرتجز يقول:

خَلُّوا بني الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن في تنزيله

بأنَّ خير القتل في سبيله

قال البزار: لا نعلم من رواه عن الزهري، عن أنس إلاَّ معمر ولا عنه إلاَّ عبد الرزاق.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/١٣٠) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٧/٤٦٣ ـ ٤٦٤) (رقم ٤١٩٦) ومسلم (٣/١٤٣٣ ـ ١٤٤١ رقم ١٣٢/١٨٠٧).

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسِرنا ليلاً، فقال رجلٌ من القوم لعامر: يا عامر ألا تُسمِعُنا من هُنيهاتِك؟ وكان عامرٌ رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللَّهم لولا أنتَ ما اهتدَينا ولا تَصدَّقنا ولا صلَّينا

فاغفِر فِداءً لك ما اتقينا وثبتِ الأقدامَ إن لاقينا

وألقِينْ سَكينةً علينا إنا إذا صيح بنا أبينا

وبالصِّياح عَوَّلوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ قالوا: عامرُ بن الأكوع، قال: يرحمه الله... الحديث».

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير: (١٩/١٧٦ ـ ١٧٩ رقم ٤٠٣) من طريق ابن إسحاق.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/٣٩٢ ـ ٣٩٤) وقال: «رواه الطبراني ورجاله إلى =

(ومنها) أنه استنشد الأسود بن سريع قصائد حمد بها ربه[1] واستنشد من شعر أمية بن أبي الصلت مائة قافية[2]، وأنشد الأعشى شيئاً من شعره فسمعه[3].

(ومنها) أنه صدق لبيداً في قوله[4]:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

= ابن إسحاق ثقات». اهـ.

قلت: وأخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٤/٢٠٤ ـ ٢١٤) بسند منقطع إذ لم يسم عاصم بن عمر بن قتادة من حدثه. وقد صرح ابن إسحاق بالسماع.

وأخرجه الحاكم (٣/٥٧٩ ـ ٥٨٣)، وقال: هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامي، وسكت عنه الذهبي. قلت: وفي سنده مجاهيل. وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٠٧ ـ ٢١١) مرة من طريق ابن إسحاق؛ ومرة من طريق الحاكم.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه الحاكم (٣/٦١٤) عن الحسن قال: قال الأسود بن سريع يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى، فقال: إن ربك تبارك وتعالى يحب الحمد، ولم يستزده على ذلك.

قال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٤/١٧٦٧ رقم ٢٢٥٥/١) عن عمرو بن الشَّرِيدِ عن أبيه. قال: رَدِفْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، يوماً فقالَ: «هل معكَ من شِعْرِ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ شيئاً»؟قلتُ: نعم. قال: «هِيهِ» فأنْشَدْتُهُ بيتاً. فقالَ: «هيه» ثم أنشدْتُهُ بيتاً. فقال: «هيه» حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مائةَ بيتٍ.

(٣) أخرج قصة الأعشى ابنُ هشام في السيرة النبوية (٢/٢٩ ـ ٣٢) بسند منقطع.

وأخرجها ابن قتيبة في الشعر والشعراء معلقة ص ١٥٩، والمرزباني في معجم الشعراء ص ٤٠١ بدون سند معلقة. فيكون الحديث ضعيفاً.

(٤) يشير المؤلف إلى الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير (٩/٢١ ـ ٢٤ رقم ٨٣١٦) وأورده الهيثمي في «المجمع» (٦/٣٤) وقال: رواه الطبراني هكذا مرسلاً وفيه ابن لهيعة أيضاً. وزاد (٧/٧٢) ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة.

فللحديث علتان: الإرسال، وضعف ابن لهيعة لأن الراوي عنه ليس من العبادلة.

والخلاصة أن الحديث ضعيف.

ودعا لحسان أن يؤيده الله بروح القدس[1] ما دام ينافح عنه وكان يعجبه شعره، وقال له: اهجهم وروح القدس معك، وأنشدت عائشة رضي الله عنها قول أبي كثير الهذلي.

وإذا نظرت إلى أسِرَّة وجهه   بَرَقَتْ كبرق العارض المتهلل

وقالت أنت أحق بهذا البيت فسُرَّ بقولها.

(ومنها) أنهم ادعوا أنه رخص فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وأهل المدينة وبأن كذا وكذا وليٍ لله حضروه وسمعوه، فمن حرمه فقد قدح في هؤلاء السادة القدوة الأعلام.

(ومنها) أن إجماع العلماء منعقد على إباحة أصوات الطيور المطربة الشجية فلذة سماع صوت الآدمي أولى بالإباحة أو مساوية، وبأن السماع يحدو روح السامع وقلبه إلى نحو محبوبه، فإن كان محبوبه حراماً كان السماع معيناً له على الحرام وهو حرام في حقه، وإن كان مباحاً كان السماع في حقه مباحاً وإن كانت محبته رحمانية كان السماع في حقه قربة وطاعة، لأنه يحرك المحبة الرحمانية ويهيجها وبأن الْتِذاذ الأذن بالصوت الطيب كالتذاذ العين بالمنظر الحسن والشم بالروائح الطيبة

---

(١) يشير المؤلف إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٦/٣٠٤ رقم ٣٢١٣) و(٧/٤١٦ رقم ٤١٢٣ ورقم ٤١٢٤) و(١٠/٥٤٦ رقم ٦١٥٣) ومسلم (٤/١٩٣٣ رقم ٢٤٨٦) من حديث البراء رضي الله عنه: قال: قال النبي ﷺ لحسان رضي الله عنه: «اهْجُهُمْ ـ أو هاجِهِم ـ وجبريل معك».

أو إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٦/٣٠٤ رقم ٣٢١٢) ومسلم (٤/١٩٣٢ رقم ٢٤٨٥).

عن سعيد بن المسيب، قال: مرَّ عمرُ في المسجد وحسانُ ينشد، فقال: كنت أنشِدُ فيه وفيه من هو خيرٌ منك. ثمَّ التفتَ إلى أبي هريرة فقال: أنشُدكَ باللّهِ أسمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول: «أجِبْ عني، اللّهم أيدْهُ بروح القُدسِ»؟ قال: نعم.

والذوق بالطعم الطيب فإذا كان هذا حراماً كانت هذه اللذات والإدراكات محرمة.



[الرد على ما استدل به من أباح السماع]

والجواب عن ذلك وبالله التوفيق فيما تقدم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والعلّامة ابن القيم وغيرهما كفاية، وما ذكر حيدٌ عن المقصود ورَوَغانٌ عن محل النزاع فإن جهة كون الشيء مستلذاً للحاسة ملائماً لها لا يدل على إباحته ولا تحريمه ولا كراهته ولا استحبابه، فإن هذه اللذة تكون في أحكام التكليف الخمسة فكيف يستدل بها على الإباحة من يعرف شروط الدليل ومواقع الاستدلال. وهل هذا إلَّا بمنزلة من يستدل على إباحة الزنا بما يجد به فاعله من اللذة ولذته لا ينكرها ذو طبع سليم، وهل يستدل بوجود اللذة الملائمة على حل اللذيذ الملائم أحد؟ وهل خلت غالب المحرمات من اللذات؟ وهل أصوات المعازف التي صح عن النبي ﷺ تحريمها وأنَّ في أمته من يستحلها بأصح الأسانيد[1]. وأجمع أهل العلم على تحريم بعضها، وقال بعضهم بتحريم جملتها، وقد حكى ابن الصلاح[2] الإجماع على تحريم

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (١٠/٥١ رقم ٥٥٩٠) معلقاً عن عبد الرحمن بن غَنْم الأشعريُّ قال: حدثني أبو عامر ـ أو أبو مالك ـ الأشعري والله ما كَذَبني: سمعَ النبيَّ ﷺ يقول: «ليكوننَّ من أمتي أقوام يستحلُّونَ الحِرَ والحريرَ والخمر والمعازف..» والحديث صحيح معروف الاتصال. انظر «فتح الباري» (١٠/٥٢).

وقال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تحقيقه لرسالة المسترشدين (ص ١٢١): «وفي هذا الحديث بيَّنَ النبيُّ ﷺ أنَّ بين هذه الفواحش ترابطاً قوياً، إذ كلُّ واحدة منها تستدعي الأخرى، فالزنى يستدعي استحلالَ التزيُّن بالحرير ـ وهو حرام على الرجال ـ كما يستدعي استحلالَ شرب الخمر، واستحلالَ عزفِ آلات اللهو، ليُزادَ بذلك عُرامُ الفساد في نفوس أهله، وليؤَجِّجَ لَهِيبُه إذا فَتَر فيها! نسأل الله السلامة والعافية». اهـ.

(٢) هو الإمام الحافظ: أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشرخاني، المحدث الحجة، الفقيه الأصولي الشافعي البارع في أصناف العلوم. =

الغناء مع الدف والشبابة يعني إذا كان معه آلة لهو، وهل في التذاذ الإبل والطفل بالصوت الطيب دليل شرعي من إباحة أو تحريم.

وأعجب من هذا الاستدلال على الإباحة بأن الله تعالى خلق الصوت الطيب وهو زيادة نعمة منه لصاحبه، فيقال والصورة الحسنة الجميلة أليست زيادة في النعمة والله تعالى خالقها ومُعْطي حسنها أفيدل ذلك على إباحة التمتع بها والالتذاذ بها على الإطلاق، وهل هذا إلاَّ مذهب أهل الإباحة الجارين على رسوم الطبيعة، ولعل في ذم الله لصوت الحمار ما يدل على إباحة الأصوات المطربات بالنغمات الموزونات والألحان اللذيذات من الصور المستحسنات بأنواع القصائد المستحسنات بالدفوف والشبابات هذا من المضحكات المعجبات. وأعجب من هذا الاستدلال على الإباحة بسماع أهل الجنة أنهم في روضة يحبرون[1]. فما يخاف صاحب هذا الاستدلال، فإن هذا كمن يستدل على إباحة الخمر بأن في الجنة خمراً[2] وعلى إباحة لبس

= ولد سنة (٥٧٧هـ) في شرخان، قرية قريبة من شهرزور التابعة لإربل شمالي العراق، فنسب إليها، لكن اشتهرت نسبته إلى شهرزور، وكان والده عبد الرحمن يلقب صلاح الدين. فنسب إليه وعرف بابن الصلاح.

نشأ ابن الصلاح في بيت علم ورئاسة. ورحل إلى البلاد الإسلامية لطلب العلم. وتوفي ابن الصلاح سنة (٦٤٣هـ).

[الأعلام (٤/٢٠٧) ومعجم المؤلفين (٦/٢٥٧) وشذرات الذهب (٥/٢٢١)].

(١) يشير المؤلف إلى الآية (١٥) من سورة الروم: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضةٍ يُحْبَرون﴾.

(٢) يشير المؤلف إلى الآية (١٥) من سورة محمد ﷺ: ﴿مثل الجنةِ التي وُعِدَ المتقون. فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسِنٍ. وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغير طعمه. وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين...﴾.

الحرير بأن لباس أهل الجنة الحرير[1] وعلى حل أواني الذهب[2] والفضة[3] والتحلي بها للرجال، فإن هذا كله مباح لأهل الجنة.

فإن قيل قام الدليل على تحريم هذا ولم يقم على تحريم السماع، قيل هذا الآن استدلال آخر على الاستدلال على إباحته لأهل الجنة، فعلم أن استدلالك بإباحته لأهل الجنة استدلال باطل وقولك لم يقم دليل على تحريم السماع فيقال أي السماعات تعني وأي المسموعات تريد؟ فإن منهما المحرم والمكروه والمباح والواجب والمستحب فعيّنْ نوعاً يقع الكلام فيه نفياً وإثباتاً.

فإن قلت سماع القصائد ما مُدحَ اللَّهُ به ورسولُه وكتابُه وهُجِيَ به أعداؤه فهذه لم يزل المسلمون يروونها ويسمعونها ويدرسونها، وهي التي سمعها الرسول وأصحابه وأثاب عليها وحرض حسان عليها، وهي التي غرّت أصحاب السماع الشيطاني فقالوا تلك قصائد، ويكفي هذا والسنَّة كلام والبدعة كلام والتسبيح كلام والغيبة كلام، ولكن هل سمع رسول الله ﷺ وأصحابه سماعكم هذا المشتمل على قريب من مائة مفسدة، ونظير هذا ما استدلوا به على أن الرسول استحسن الصوت الحسن وأذن فيه كما تقدم من حديث أبي موسى الأشعري[4]

---

(١) يشير المؤلف إلى الآية (٢٣) من سورة الحج: ﴿إنَّ اللَّهَ يُدخلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار. يُحَلَّوْنَ فيها من أساوِرَ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسُهُمْ فيها حريرٌ﴾.

(٢) يشير المؤلف إلى الآية (٧١) من سورة الزخرف: ﴿يُطافُ عليهم بِصِحَافٍ من ذَهَبٍ وأكوابٍ. وفيها ما تشتهيهِ الأنفُسُ وتلذُّ الأعينُ وأنتم فيها خالدون﴾.

(٣) يشير المؤلف إلى الآية (١٥) من سورة الإنسان: ﴿ويُطاف عليهم بآنية من فضةٍ وأكوابٍ كانت قواريراً﴾.

(٤) وهو حديث متفق عليه وقد تقدم قريباً.

وغيره فنقلوا هذا الاستحسان إلى صوت النسوان والمُرْدان وغيرهم بالغناء المقرون بالدفوف بالصنوج والشبابات والأوتار وغير ذلك من المعازف وذكر القدود والثغور والنهود والخصور ووصف فواتر العيون وسوادها وسواد الشعور ومحاسن الشباب وحمرة الخدود وذكر الوصل والصد والتجني والهُجران والعتاب والاستعطاف والاشتياق والقلق والفراق وما أشبه ذلك مما هو أفسد للقلب من سكر الخمر، وأي نسبة لسكر يوم ونحوه إلى سكرة العشق التي لا يستفيق صاحبها إلاّ في عسكر الهالكين أسيراً قتيلاً حزيناً.

وهل تقاس سكرة الشراب إلى سكرة الأرواح بالسماع، فإن نازع منازع في سكر السماع وتأثيره في العقول والأرواح خرجوا عن الذوق والحس فظهرت مكابرة القوم فكيف يحمي الطبيبُ المريضَ عما يشوش عليه صحته ويبيح له ما فيه أعظم السقم والكلام مع من وَجَد لا من فَقَد، وأعجب من هذا من استدل على إباحة السماع المركب من الهيئة الاجتماعية اجتماع البنتين الصغيرتين وهما دون البلوغ عند امرأة صبية في يوم عيد وفرح بأبيات للعرب في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الأخلاق والشيم فأين هذا من هذا؟ والعجب أن هذا من أكبر الحجج عليهم، فإن الصِّدِّيق سمىٰ ذلك مزمار الشيطان وأقره على هذه التسمية مرخصاً فيه لجويرتين غير مكلفتين[1] ولا مفسدةَ في إنشاده ولا في استماعه، أفيدلّ هذا على إباحة ما يفعلونه من السماع اليوم؟ وأعجبُ من هذا كله الاستدلالُ على إباحته بما سمعه الرسول من الحدْوِ المشتمل على الحق والتوحيد وهل حرم أحدٌ مطلق الشعر وقوله واستماعه؟ وأعجب استدلالِهِمْ بإباحته على إباحة أصوات الطيور اللذيذة، وهل هذا إلاّ من جنس قياس

---

(١) وهو حديث متفق عليه وقد تقدم قريباً.

الذين قالوا: إنما البيع مثل الربا وأين أصوات الطيور إلى نغمات النسوان والمردان والأوتار والعيدان والغناء منهن بما يحدو الأرواح والقلوب إلى مواصلة كل محبوبة ومحبوب، وأين الفتنة بمن هو من جنسك إلى الفتنة بصوت القُمْريّ والبُلْبل والهَزار والشحرور ونحوها، وأعجب من هذا من قال: إنه من أنكره فقد أنكر على كذا كذا وليّ لله فحجة عامية، نعمْ يُنكر أولياءُ الله على أولياءِ الله، فقد أنكر عليهم من أولياء الله من هو أكثر منهم عدداً وأعظم عند الله وعند المؤمنين وقد تقاتل أولياء الله في صفين[1] بالسيوف ولما سار بعضهم إلى بعض كان يقال سار أهل الجنة إلى الجنة وكون وليّ الله يرتكب المكروه أو المحظور متأولاً أو عاصياً لا يمنع ذلك الإنكار عليه ولا يخرجه عن أصلِ ولايته لله. وهيهات هيهات أن يكون أحد من أولياء الله المتقدمين حضر هذا السماع المُحْدَث المشتمل على هذه الهيئة التي تفتن القلوب أعظم فتنة.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع من كلامه: قال إسحاق بن عيسى الطباع[2]: سألت مالكاً عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال: إنما يفعله عندنا الفساق، وهذا النص عن مالك معروف في كتب أصحاب مالك مشهور وهم أعرف

---

(١) صِفِّين: بكسرتين وتشديد الفاء. وهو موضع بقرب الرَّقّة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صفين بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه، في سنة (٣٧هـ) في غرّة صفر... وكانت مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيّام... [انظر «معجم البلدان» (٣/ ٤١٤ ـ ٤١٥)].

(٢) هو إسحاق بن عيسى بن نجيح البغدادي أبو يعقوب، ابن الطباع، سكن أذنه، قال البخاري مشهور الحديث، وقال صالح بن محمد لا بأس به صدوق، وقال أبو حاتم: أخوه محمد أحب إليَّ منه وهو صدوق، قال ابن قانع مات سنة (٢١٤هـ) وقال ابن سعد مات سنة (٢١٥هـ) في ربيع الأول. وقال ابن حبان كان مولده سنة (١٤٠هـ). [تهذيب التهذيب (١/ ٢١٤) والثقات لابن حبان (٨/ ١١٤)].

بمذهبه وأضبط ممن ينقل عنه الغلط وعن أهل المدينة من طائفة بالمشرق لا علم لهم بمذاهب الفقهاء، ومن ذكر عن مالك أنه ضرب بعود فقد افترى عليه وإنما نبهت على هذا لأن فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمي[1] ومحمد بن طاهر المقدسي[2] في ذلك حكايات وآثاراً يظن من لا خبرة له بالعلم وأحوال السلف أنها صدق، وكان الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي فيه من الخير والزهد والدين والتصوف ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار التي توافق مقصوده كل ما يجده ولهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة والكلام ما ينتفع به في الدين ويوجد فيها من الآثار السقيمة والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له وبعض الناس توقف في روايته حتى إن البيهقي كان إذا روى عنه يقول حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه، وأكثر الحكايات التي يرويها أبو القاسم القشيري[3] صاحب الرسالة عنه فإنه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة في معرفة الحديث ورجاله وهو من حفاظ وقته، لكنْ كثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وغيرهم إذا صنفوا في بابٍ ذكروا ما روي من غث وثمين ولم يميزوا بين ذلك. اهـ كلامه.



[لم يميز المتأخرون من المصنفين بين الضعيف والصحيح]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر: ذكر من صنف في السماع ومن روى فيه من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة. ثم قال: وكثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وأهل الفقه والتصوف وغيرهم إذا صنفوا في باب ذكروا

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

ما روي فيه من غث وثمين ولم يميزوا ذلك، كما يوجد في كثير ممن يصنف في الأبواب مثل المصنّفين في فضائل الشهور والأوقات[1] وفضائل الأعمال والعبادات[2] وفضائل الأشخاص[3] وغير ذلك من الأبواب[4] مثل ما صنف بعضهم في فضائل صيام

---

(١) مثل: «النور في فضائل الأيام والشهور» لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي.
و«العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور» لعمر بن دحية الكلبي.
و«لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» لزين الدين بن رجب بن عبد الرحمن الحنبلي.
و«فضائل الشهور والأيام» لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي.
و«فضائل الأوقات» لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. دراسة وتحقيق: عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي.

(٢) مثل: «فضائل الأعمال» لحميد بن مخلد بن قتيبة المعروف (بابن زنجويه) ت (٢٤٨هـ).
و«ثواب الأعمال» لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني. ت (٣٦٩هـ).
و«فضائل الأعمال» لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي. ت (٧٠١هـ).
و«المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» لأبي محمد شرف الدين عبد المؤمن بن خلق الدمياطي. ت (٧٠٥هـ).
و«فضائل الأعمال الصالحة» للفاضل حفظي أفندي الرومي.
و«فضائل الأعمال» لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي. دراسة وتحقيق: غسان عيسى محمد هرماس.

(٣) مثل: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري.
و«الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء...» لأبي عمر يوسف بن عبد البر.
و«مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق وتعليق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. قابل نسخه وصححه. د. علي محمد عمر.
وغيرها كثير...

(٤) كفضائل الأمكنة والبلدان:
مثل: «فضل مكة والسكن فيها» للحسن البصري. تحقيق: د. سامي مكي العاني.
و«فضائل المدينة» لأبي سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندي اليمني المكي. تحقيق: محمد مطيع الحافظ ــ غزوة بدير. =

رجب وغيره، وفي فضائل صلوات الأيام والليالي صلاة يوم الأحد وصلاة يوم الاثنين والثلاثاء وصلاة أول جمعة في رجب والتي أول رجب ونصف شعبان وإحياء ليلة العيدين وصلاة يوم عاشوراء وكل هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث.

وأجود حديث روي عن النبي ﷺ في صيام رجب ما رواه ابن ماجه[1] (عن النبي ﷺ أنه نهى عن صيام رجب) وقد ثبت بالإسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب أنه كان يضرب أيدي الناس في رجب حتى يفطروا ويقول لا تشبهوه برمضان[2] وكذا

= و «فضائل بيت المقدس» لضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الحنبلي. تحقيق: محمد مطيع الحافظ.

و «فضائل القدس» لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق: د. جبرائيل جبور.

و «فضائل إفريقية في الآثار والأحاديث الموضوعة» لمحمد العروسي المطوي.

(١) في السنن (١/٥٤٤ رقم ١٧٤٣).

قلت: وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/٣٤٨ رقم ١٠٦٨١) والبيهقي في فضائل الأوقات (ص ١٠٦ رقم ١٥)

وفي الشعب (٣/٣٧٥ رقم ٣٨١٤). من حديث ابن عباس.

وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٥٥٥ رقم ٩١٣) وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ..». وذكره ابن قيم الجوزية في «المنار المنيف» (ص ٩٧ رقم ١٧٣). وقال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: الحديث ضعيف بمرة.

وذكره ابن حجر في «تبيين العجب» رقم (٣٠) والسيوطي في الجامع الصغير رقم (٩٤٧٨) ورمز لضعفه. وذكره الذهبي في الميزان (٢/١٠٤).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٣٠٧ رقم ٦٣١): «هذا إسناد فيه داود بن عطاء المدني وهو متفق على تضعيفه..». اهـ.

وانظر ترجمة داود هذا في الميزان للذهبي (٢/١٢ رقم ٢٦٣١).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/١٠٢).

كره إفراده بالصوم غير واحد من السلف والأئمة[1].

وأجود ما يروى من هذه الصلوات حديث صلاة التسبيح وقد رواه أبو داود[2] والترمذي[3] وغيرهما، ومع هذا فلم يقل به أحد من الأئمة الأربعة بل الإمام أحمد ضعف الحديث وقال: لا يصح ولم يستحب هذه الصلاة. وأما ابن المبارك والمنقول عنه فشيء مثل الصلاة المرفوعة، فإن تلك فيها قعدة طويلة بعد السجدة الثانية وهذا يخالف الأصول فلا يجوز أن يثبت بمثل هذا الحديث ومن تدبر الأصول علم أنه موضوع.

وأما سائر هذه الأحاديث فإنها كلها أحاديث موضوعة مكذوبة باتفاق أهل المعرفة مع أنها توجد في مثل كتاب أبي طالب[4] . . . .

---

(١) انظر «المغني» لابن قدامة (٣/١٠٦) والمجموع شرح المهذب للنووي (٦/٣٨٦).

(٢) في السنن (٢/٦٧ رقم ١٢٩٧).

(٣) بل أشار إليه الترمذي في السنن (٢/٣٤٨) بقوله: وفي الباب: عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو، والفضل بن عباس، وأبي رافع».

قلت: وأخرجه ابن ماجه (١/٤٤٣ رقم ١٣٨٧) وابن خزيمة (٢/٢٢٣ رقم ١٢١٦) والطبراني في المعجم الكبير (١١/٢٤٣ رقم ١١٦٢٢) والحاكم (١/٣١٨ ــ ٣١٩) والبيهقي (٢/٥١ ــ ٥٢) وله شواهد. وهو حديث صحيح بشواهده. وإذا رغبت في معرفة طرق الحديث وما قيل فيها فارجع إلى كتاب: «التنقيح لما جاء في صلاة التسبيح» للشيخ جاسم بن سليمان الفهيد الدوسري.

(٤) هو محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي الزاهد الواعظ صاحب كتاب «قوت القلوب» وكان مجتهداً في العبادة. قال الخطيب ذكر في «القوت» أشياء منكرة في الصفات وكان من أهل الجبل ونشأ بمكة، قال لي أبو طاهر العلاف أن أبا طالب وعظ ببغداد وخلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق، فبدعوه وهجروه فبطل الوعظ. مات سنة ست وثمانين وثلاث مائة.

[لسان الميزان (٥/٣٠٠ رقم ١٠١٤)، وتاريخ بغداد (٣/٨٩) ووفيات الأعيان (٤/٣٠٣)].

وكتاب أبي حامد[1] وكتاب الشيخ عبد القادر[2]، وتوجد في مثل أمالي أبي القاسم بن عساكر [3] وفيما صنفه

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالي. ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ).

من مؤلفاته: المنخول من تعليقات الأصول ــ والإحياء. وقد ذكر في الإحياء من الأحاديث الموضوعة وما لا يصح غير قليل، وسبب ذلك أن معرفته بالحديث قليلة.. وتوفي سنة (٥٠٥هـ).

[انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٩١/٦) وشذرات الذهب (١٠/٤) والمنتظم (١٦٨/٩)].

(٢) تقدمت ترجمته في هذه الرسالة وكتابه: الغُنية.

(٣) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر، تفقه في حداثته بدمشق على الفقيه أبي الحسن السلمي، وسمع فيها سنة (٥٠٥هـ) باعتناء أبيه وأخيه ضياء الدين من أبي القاسم النسيب ــ صاحب الفوائد العشرين ــ وقوام بن زياد وسبيع بن قيراط وأبي طاهر الحبال، وأبي الحسن بن الموازيني وطبقتهم، وسمع بنفسه من والده وأبي محمد الأكفاني وأبي الحسن بن قبيس، وعبد الكريم بن حمزة. ورحل إلى بغداد عام عشرين وأقام بها خمس سنين، ولزم بها التفقه وسماع الدروس بالنظامية، وقرأ الخلاف والنحو، وسمع فيها من علماء عدة.. ثم قصد مكة وسمع فيها... وانتقل إلى المدينة وسمع بها.. وعاد إلى بغداد يسمع الحديث ويقرأ الخلاف والفقه. ثم رجع إلى دمشق، ورحل إلى خراسان، ودخل نيسابور سنة تسع وعشرين وسمع فيها.. وقفل إلى بغداد في سنة ثلاث وثلاثين وكتب عن جماعة. ثم عاد إلى دمشق يحدث ويملي ويصنف إلى آخر عمره... ومن مؤلفاته: الإشراف على معرفة الأطراف.. وتاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها أو وردها...

وفي الفضائل: كفضل قريش، فضل أصحاب الحديث، فضل بيت المقدس، فضل مكة، فضل المدينة. وفضل عاشوراء، والمحرم، وشعبان...

توفي سنة (٥٧١هـ) بدمشق.

[انظر الأعلام للزركلي (٢٧٣/٤) ومقدمة «تبيين كذب المفتري»].

أبو حفص بن شاهين[1] وعبد العزيز الكناني[2] وأبو علي بن البناء[3] وأبو الفضل بن ناصر[4] وغيرهم، وكذلك أبو الفرج ابن الجوزي[5] ذكر مثل هذا في كتاب فضائل الشهور، ويذكر في الموضوعات[6] أنه كذب موضوع.



[حال كتب الزهد والرقائق]

والذين جمعوا الأحاديث في الزهد والرقائق يذكرون ما روي في هذا الباب ومن أجلّ ما صنف في هذا الباب كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك[7]، وفيه أحاديث واهية، وكذلك كتاب

---

(١) هو عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي الواعظ المعروف بابن شاهين صاحب التصانيف.. وقال الدارقطني: ابن شاهين يلج على الخطأ وهو ثقة. توفي سنة (٣٨٥هـ).
[تذكرة الحفاظ (٣/٩٨٧)].

(٢) وهو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكناني المكي، كان يلقب بالغول لدمامته، سمع من سفيان بن عيينة وكان من تلاميذ الشافعي، وناظر بشراً المريسي أمام المأمون، وله كتاب الحيدة وله مصنفات عديدة، وقد توفي سنة (٢٤٠هـ).
[تهذيب التهذيب (٦/٣٢٤ رقم ٦٩٥)، والأعلام (٤/٢٩)].

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء البغدادي الحنبلي، أبو علي، محدث، فقيه مشارك في أنواع من العلوم. سمع الحديث من خلق كثير، وتفقه، وصنف في كل فن حتى بلغت (١٥٠) مصنفاً. توفي ببغداد في (٥) رجب سنة (٤٧١هـ). ودفن في مقبرة باب حرب.
[معجم المؤلفين (٣/٢٠١) والمنتظم (٨/٣١٩ ـ ٣٢٠)].

(٤) هو محمد بن ناصر بن محمد بن علي أبو الفضل السلامي، ويقال له ابن ناصر، محدث العراق في عصره، ولد سنة (٤٦٧هـ) ببغداد وتوفي بها سنة (٥٥٠هـ)، له الأمالي في الحديث والتنبيه على ألفاظ الغريبين.
[الأعلام للزركلي (٧/١٢١)].

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) (٢/١٩٩ ـ ٢٠٤).

(٧) هو عبد الله بن المبارك بن واضح، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد =

الـزهد لهنـاد بن السري[1] ولـوكيع[2] وكـذلـك الـزهـد لأسـد بن موسى[3] وغيرهم[4] وأجود ما صنف في ذلك كتاب الزهد لـلإمام

= الأعـلام، وكانت أمـه خوارِزْميـة. ولـد في سنـة ثمان عشـرة ومئـة، وطلب العلم وهـو ابن عشرين سنة، وصنف التصانيف النافعة الكثيرة. . وكان يحج عاماً ويغزو عامـاً، ومات سنـة إحدى وثمانين ومائة.

[انـظر: شـذرات الـذهب (١/ ٢٩٥ ــ ٢٩٦) وتـاريـخ بغـداد (١٠/ ١٥٢) والجــرح والتعديل (٥/ ١٧٩) والتاريخ الكبير (٥/ ٢١٢)].

● وأما كتابه «الزهد» فمطبوع بتحقيق وتعليق: الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي.

(١) هو هنَّاد بن السَّريّ بن مصعب التميمي الدارمي: محدث، زاهد، من حفاظ الحديث، كان شيخ الكوفة في عصره. ويقال له: «راهب الكوفة» ما تزوج ولا تسرى. له «كتـاب الزهـد ــ مخـطوط». ذكره الـذهبي في «تذكـرة الحفاظ» (٢/ ٥٠٨) وذكـره الكتـاني «في الـرسـالـة المستطرفة» (ص ٥١)، والزركلي في الأعلام (٨/ ٩٦)، ويقـوم بتحقيقه الشيـخ عبد الـرحمن عبد الجبار الفريوَائي ــ ذكر ذلك في مقدمته لكتاب «الزهد» لوكيع (١/ ١٤٧).

(٢) هـو وكيع بن الجـراح بن مليح بن عـدي بن فرس بن جمجـة، أبو سفيـان. ولد سنـة تسع وعشرين ومائة ــ على الأغلب ــ وتربّـى في أسرة عريقة في العلم والدين، وتوفي سنة سبع وتسعين ومائة ــ على الأغلب ــ وله مصنفات عديدة، منها كتاب الزهد، الذي قام بتحقيقـه وتخريجه الشيخ عبد الرحمن عبد الجبار الفريوَائي، بثلاثة مجلدات.

[انظر الأعلام (٨/ ١١٧) وحلية الأولياء (٨/ ٣٦٨) وتاريخ بغداد (١٣/ ٤٦٦)].

(٣) هو أسد بن موسى الأموي الحافظ نزيل مصر ويقـال له أسـد السنَّة، روى عن شعبـة وطبقته ورحل في طلب الحديث، وصنف التصانيف وهو أحد الثقات الأكياس، توفي سنـة (٢١٢هـ).

[انظر: شذرات الذهب (٢/ ٢٧) والعبر للذهبي (١/ ٢٨٤)].

● وأما كتابه «الزهد» فمطبوع. وذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢/ ٤٢٣).

(٤) مثل: كتاب الـزهد: لمعـافى بن عمران أبـو مسعود الأزدي المـوصلي (ت: سنة ١٨٥هـ). وتوجد نسخة خطية منه في الظاهرية. حديث (٣٥٩)، في مجموع (١٩) ورقة.

[انظر: تاريخ التراث العربـي: (٢/ ٤٣٣)].

● وكتاب الزهد: لمحمد بن فضيل بن غزوان (ت: سنة ١٩٥هـ).

[انظر: تاريخ التراث العربـي (١/ ١٣٩)].

وانظر مقدمة كتاب الزهد لوكيع (١/ ١٤٤ ــ ١٥٣) تحت عنـوان مؤلفات في الـزهد. فقد أجاد وأفاد. .

أحمد[1] لكنه مرتب على الأسماء وزهد ابن المبارك على الأبواب، وهذه الكتب يذكر فيها زهد الأنبياء والصحابة والتابعين.

ثم إن المتأخرين على صنفين منهم من ذكر زهد المتقدمين والمتأخرين كأبي نعيم في الحلية[2] وأبي الفرج في صفوة

---

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ولد في شهر ربيع الأول سنة (١٦٤هـ) وطلب العلم صغيراً، ورحل لطلبه إلى الشام والحجاز واليمن وغيرها حتى أجمع على إمامتِهِ وتقواه وورعِهِ وزهده.

قال أبو زرعة: كانت كتبه اثني عشرَ جملاً وكان يحفظها ظهر قلبه، وكان يحفظ ألفَ ألفِ حديث. وألف المسند الكبير أعظم المسانيد وأحسنَها وضعاً وانتقاداً، فإنه لم يُدخل فيه إلَّا ما يُحتج به مع كونه انتقاه من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسينَ ألف حديث، وكانت وفاته سنة (٢٤١هـ) على الصحيح ببغداد مدينة السلام.

[تاريخ بغداد (٤/٤١٢ ـ ٤٢٣ رقم ٢٣١٧) وتهذيب الأسماء واللغات (١/١١٠ ـ ١١٢ رقم ٤٥) والتاريخ الكبير للبخاري (٢/٥ رقم ١٥٠٥)].

● وأما كتابه «الزهد» فهو مطبوع بجزئين. تحقيق الدكتور محمد جلال شرف. وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/١٤٢٢)

(٢) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مِهْران، الأصبهانيُّ، الصوفيُّ الأحول، سبطُ الزاهدِ محمد بن يوسف البناء، وصاحبُ الحلية.

ولد سنة (٣٣٦هـ). ومات في العشرين من المحرم سنة (٤٣٠هـ)، وله أربع وتسعون سنة.

[انظر تبيين كذب المفتري (ص٢٤٦)، والمنتظم (٨/١٠٠) وتذكرة الحفاظ (٣/١٠٩٢ رقم ٩٩٣)].

● أما كتابه «الحلية» فله مساوىء نجملها فيما يلي:

١ ـ ذكر أسماء ولم يترجم لأصحابها، ولم يشرح أحوالهم وأخلاقهم ليقتدي بها القارىء...

٢ ـ ذكر ما لا يليق بالكتاب كنقله قطعة من التوراة في ترجمة كعبْ الأحبار.

٣ ـ تكرار الأخبار في أكثر من موضع.

٤ ـ أطال بذكر الأحاديثَ التي يرويها الشخص الواحد في كل فن، فينسى ما وُضع له ذِكر الرجل من بيان آدابه وأخلاقه..

٥ ـ ذكر أحاديث كثيرة باطلة وموضوعة...

=

الصفوة[1].



[ذكر بعض الحكايات الباطلة]

ومنهم من اقتصر على ذكر المتأخرين من حين حدث اسم الصوفية كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية[2] وصاحبه أبو القاسم القشيري في رسالته[3] ثم الحكايات التي يذكرها هؤلاء ونحوهم كابن خميس الموصلي[4] وأمثاله يذكرون حكايات مرسلة بعضها صحيح وبعضها باطل قطعاً والله أعلم.



= ٦ ـ استخدم السجع البارد الذي لا يحتوي على معنى صحيح.

٧ ـ أضاف التصوف إلى كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. وليس عند هؤلاء خبر من التصوف.

٨ ـ أطال الكلام فيما لا طائل فيه.

٩ ـ ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها.

١٠ ـ قدم في الترجمة من ينبغي أن يؤخر، وأخر من ينبغي أن يقدم ـ **وأما الأشياء التي فاتت صاحب الحلية فهي:**

١ ـ أنه لم يذكر سيد الزهاد وإمام الكل وقدوة الخلق وهو نبينا ﷺ.

٢ ـ ترك ذكر خلق كثير قد نقل عنهم من التعبد والاجتهاد الكبير.

٣ ـ أنه لم يذكر من عوابد النساء إلاَّ عدداً قليلاً.

[انظر «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/٢١ ـ ٣١)].

(١) وهو مطبوع في (٤) مجلدات حققه وعلق عليه: محمود فاخوري وخرج أحاديثه: د. محمد رواس قلعه جي.

● وأما ترجمة ابن الجوزي فقد تقدمت في هذه الرسالة.

(٢) مطبوع في مجلد واحد. تحقيق: نور الدين شريبة.

● وأما ترجمة السلمي فقد تقدمت في هذه الرسالة.

(٣) مطبوعة بتحقيق الدكتور: عبد الحليم محمود، والدكتور: محمد بن الشريف.

● وأما ترجمة القشيري فقد تقدمت في هذه الرسالة.

(٤) هو الحسين بن نصر من بني خميس الكعبي الموصلي الجهني: من فقهاء الشافعية، ولد بالموصل سنة (٤٦٠هـ) وسكن بغداد، ولي القضاء برحبة مالك ثم عاد إلى الموصل. =

[وجوب التمييز بين الصحيح والسقيم في المنقولات]

وقال الشيخ رحمه الله، والمقصود هنا أن المذكور عن سلف الأمة وأئمتها من المنقولات ينبغي للإنسان أن يميز بين صحيحه وسقيمه كما ينبغي مثل ذلك في المعقولات والنظريات وكذلك في الأذواق والمواجيد والمكاشفات والمخاطبات، فإن كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة فيها حق وباطل فلا بد من التمييز بين هذا وهذا وجميع ذلك أن ما وافق كتاب الله وسنّة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه أصحابه فهو حق، وما خالف ذلك فهو باطل فإن الله تعالى يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ... ﴾[1] الآية.



فصل

[كذب من قال أن الملائكة والأنبياء تحضر سماع المكاء والتصدية]

وأما من زعم أن الملائكة أو الأنبياء تحضر سماع المكاء والتصدية محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفترٍ، بل إنما تحضره الشياطين وهي التي تتنزل عليهم وتنفخ فيهم كما روى الطبراني[2] وغيره عن ابن عباس مرفوعاً، إن الشيطان قال: يا رب اجعل لي بيتاً، قال: بيتك الحمام، قال: اجعل لي قرآناً،

= وتوفي فيها سنة (٥٥٢هـ)، له كتب كثيرة (منها): «الموضح في الفرائض على مذهب الشافعي، ومناقب الأبرار ومحاسن الأخيار على أسلوب رسالة القشيري، مناسك الحج، وغيرها».

[الأعلام (٢/٢٦١) ووفيات الأعيان (٢/١٣٩)].

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/٢٤٥ رقم ٧٨٣٧) من حديث أبي أمامة. وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/١١٩) وقال: فيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف وعبيد الله بن زحر ضعيف أيضاً.

وقال العراقي: حديث أبي أمامة هذا رواه الطبراني في الكبير وإسناده ضعيف جداً. =

قال: قرآنك الشعر قال: اجعل لي مؤذناً، قال: مؤذنك المزمار، وقد قال الله تعالى مخاطباً للشيطان:

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[1].

وقد فسر ذلك بصوت الغناء. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما نَهَيْتُ عن صَوْتَيْنِ أحْمَقَيْنِ فاجِرَيْنِ صَوْتِ لَهوٍ ولَعِبٍ، ومَزَامِيْرِ الشيطان وصَوْتِ لطم خدود وشَقِّ جُيوبٍ ودعاء بدعوى الجاهلية»[2].

وقد كوشف جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجامع السماعات الجاهلية ذات المكاء والتصدية وكيف يدور الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني حتى إن بعضهم صار يرقص فوق رؤوس الحاضرين، ورأي بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتى رقص به، فلما صرخ شيطانه هرب وسقط ذلك الرجل، وهذه الأمور لها أسرار وحقائق لا يشهدها إلاَّ أهل البصائر الإيمانية والمشاهد الإيقانية، ولكن من اتبع ما جاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة

= ورواه بنحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضاً.

[تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٤/١٥٥٧ رقم ٢٣٩٦)].

(١) سورة الإسراء: الآية (٦٤).

(٢) أخرجه البزار (١/٣٨٠ رقم ٨٠٥ ـ كشف) والبغوي في شرح السنَّة (٥/٤٣٠ رقم ١٥٣٠) من حديث جابر بن عبد الله.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٣/١٧) وقال: رواه أبو يعلى والبزار وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وفيه كلام. قلت: هو سيِّىء الحفظ.

وأخرجه الترمذي (٣/٣٢٨ رقم ١٠٠٥) مختصراً. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وهو كما قال.

فقد حصل له الهدى وخير الدنيا والآخرة، وإن من لم يعرف حقائق الأمور فهو بمنزلة من سلك السبيل إلى مكة خلف الدليل الهادي فإنه يصل إلى مقصوده ويجد الزاد والماء في مواطنه وإن لم يعرف كيف حصل ذلك وسببه ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان ضالاً عن الطريق، فإما أن يهلك وإما أن يشقى مدة ثم يعود إلى الطريق، والدليل الهادي هو الرسول الذي بعثه الله إلى الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وهادياً إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الإزباد والإرغاء والصراخات المنكرة ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان وكذلك يجدون في نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت إما وجد في الهوى المذموم وإما غضب وعدوان على من هو مظلوم وإما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم إلى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تعتري أهل الاجتماع على شرب الخمر إذا سكروا بها، فإن السكر بالأصوات المطربة قد يصير من جنس السكر بالأشربة المطربة فتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه واتّباعه فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ويوقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضاً بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من أصابه بعينه، ولهذا قال من قال من العلماء: إن هؤلاء يجب عليهم القَوَد[1] والدية إذا عرف أنهم قتلوا بالأحوال الفاسدة لأنهم ظالمون وهم إنما يغتبطون بما ينفذونه من مراداتهم

---

(١) القَوَدُ: القصاص. وأقَاد القاتل بالقتيل قَتَلَه به يُقال: أقادَهُ السلطانُ من أخيهِ. واستقاد الحاكِمَ سألَهُ أن يُقيدَ القاتِلَ بالقتيل. (مختار الصحاح ص ٢٣٢).

المحرمة كما يغتبط الظلمة المسلطون. ومن هذا الجنس حالُ فقراء الكافرين والمبتدعين والظالمين، فإنهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب وكما كان للخوارج[1] المارقين الذين قال فيهم النبي ﷺ: «يحقِر أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»[2] الحديث، وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون لهم مملكة ظاهرة، فإن سلطان الباطن مضاهٍ لسلطان الظاهر ولا يكون من أولياء الله إلَّا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وما فعلوه من الإعانة على الظلم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب، وباب القدرة والتمكن ظاهراً وباطناً ليس مستلزماً لولاية الله بل قد يكون ولي الله متمكناً ذا سلطان وقد يكون مستضعفاً إلى أن ينصره الله وقد يكون عدو الله مستضعفاً وقد يكون مسلطاً إلى أن ينتقم الله منه فخُفراءُ السر في الباطن من جنس التتر في الظاهر، هؤلاء في العُبّاد بمنزلة هؤلاء في الأجناد، وأما الغلبة فإن الله قد يُديل الكافرين كما كان يكون لأصحاب رسول الله ﷺ مع عدوهم، لكن العاقبة للمتقين فإن الله يقول:

---

(١) الخوارج: سموا بهذا الاسم، لخروجهم على الإمام علي رضي الله عنه. ونزلوا بأرض يقال لها حروراء فسموا بالحرورية. وهم الذين يكفرون أصحاب الكبائر، ويقولون بأنهم مخلدون في النار. كما يقولون بالخروج على أئمة الجور وأن الإمامة جائزة في غير قريش. وهم يكفرون عثمان وعلياً وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، ويعظمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

[الملل والنحل للشهرستاني (١/١١٤ ــ ١١٥) ومقالات الإسلاميين ص ٨٦].

(٢) وهو جزء من حديث أخرجه البخاري (٦/٦١٧ رقم ٣٦١٠) ومسلم (٢/٧٤٢ رقم ١٠٦٤) وأبو داود (٥/١٢١ رقم ٤٧٦٤) والنسائي (٥/٨٧ رقم ٢٥٧٨) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾[1].

وإذا كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظهـراً عليهم كـان ذلـك لسبب ذنـوبهم وخـطايـاهم، إمـا لتفــريـطهم في أداء الـواجبات بـاطناً وظـاهراً، وإمـا لعداواتهم بتعـدي الحدود بـاطناً وظاهراً قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾[2].

وقال تعالى:

﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[3].

وقال تعالى:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[4].

● ● ●

---

(١) سورة غافر: الآية (٥١).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٥٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٦٥).

(٤) سورة الحج: الآيتان (٤٠ و ٤١).

[ليس من دين الإسلام اتخاذ التصفيق والغناء طريقاً إلى الله]

وقال الشيخ في موضع آخر، وأما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف والنفخ في الشبابات والاجتماع على ذلك ديناً وطريقاً إلى الله وقربة فهذا ليس من دين الإسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد ﷺ ولا أحد من خلفائه ولا استحسن ذلك أحد من أئمة المسلمين بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول الله ﷺ ولا عهد أصحابه ولا تابعيهم بإحسان ولا تابعي التابعين بل لم يكن أحد من أهل الدين من الأعصار الثلاثة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع، وإنما ابتدع في الإسلام بعد القرون الثلاثة ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة.



[سؤال عن حكم السماع والرقص]

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يحب السماع والرقص فأنكر عليه رجل فقال هذه الأبيات:

أَنْكَروا الرقص ثم قالوا حرامٍ	فعليهم من أجلِ ذاكَ سلامُ
اعْبـد الله يا فقيه، وصلْ	والزمِ الشرعَ فالسماعُ حرامُ
بل حرامٌ عليكَ، ثم حلالٌ	عند قومٍ أحوالهم لا تلامُ
مثلُ قومٍ صفَوْا وبان لهم منْ	جانبِ الطور جذوةٌ وكلامُ
فإذا قُوبلَ السماعُ بلهوٍ	فحرامٌ على الجميعِ حرامُ



[الجواب]

أجاب الحمد لله رب العالمين، هذا الشعر يتضمن منكراً من القول وزوراً، بل أوله يتضمن مخالفة الشريعة، وآخره يفتح باب الزندقة والإلحاد، المخالفة للحقيقة الإلٓهية الدينية النبوية. وذلك أن قول القائل: (مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام) يتضمن تمثيل هؤلاء بموسى بن عمران، الذي نودي من جانب الطور ولما رأى النار.

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[1].



[أصناف من يزعمون أن الله يخاطبهم]

وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق الرياضة والتصفية ويظنون أنهم بذلك يصلون إلى أن يخاطبهم الله كما خاطب موسى بن عمران وهؤلاء ثلاثة أصناف.



[الصنف الأول]

صنف يزعمون أنهم يخاطبون بأعظم مما خوطب به موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد القائلين بأن الوجود واحد كصاحب الفصوص[2] وأمثاله.

---

(١) سورة القصص: الآية (٢٩).

(٢) وهو أبو بكر محيي الدين: محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، ولد في «مرسية» سنة (٥٦٠هـ) ونشأ فيها ثم ارتحل وطاف البلدان فجاء بلاد الشام والروم والمشرق، ودخل بغداد، كان يكتب الإنشاء لبعض الملوك في المغرب، اختلف الناس في شأنه فذهبت طائفة إلى أنه زنديق، وقال آخرون إنه ولي، ولكن يحرم النظر في كتبه.

والصحيح أنه اتحادي خبيث، ولم يشتهر أمره وكتبه إلَّا بعد موته لأنه كان منقطعاً عن الناس، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية، ولهذا تمادى في أمره ثم فضح وهتك. توفي سنة (٦٣٨هـ).

[انظر «شذرات الذهب» (٥/١٩٠ ـ ٢٠٢) والميزان (٣/٦٥٩ ـ ٦٦٠) وطبقات المفسرين للداوودي (٢/٢٠٤ ـ ٢١٠) وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٩٨ ـ ٩٩)].

تنبيه: في هذا الوقت العصيب تظهر طائفة من كتب ابن عربي، وهي مطبوعة على ورق أبيض صقيل وتوزع مجاناً، مما يدل أن وراءها جماعات تحاول هدم الإسلام، لما فيها من أوهام وخرافات وشركيات:

وهذه بعض أسمائها:

١ ـ الفقه، عند محيي الدين ابن العربي.

٢ ـ الإنسان الكامل، والقطب والغوث والفرد، من كلام محيي الدين ابن العربي.

=

فـإنَّ هؤلاء يـدَّعـون أنهم أعلى من الأنبيـاء وأن الخـطاب الـذي يحصـل لهم من الله أعلى مما يحصـل لإبـراهيم ومـوسى وعيسى ومحمـد. ومعلوم أن هذا الكفـر أعظم من كفـر اليهود والنصـارى الـذين يفضلون الأنبيـاء على غيـرهم لكن يؤمنـون ببعض الأنبيـاء ويكفرون ببعض.

[الصنف الثـاني] والنوع الثاني من يقـول إن الله يكلمه مثـل كلام مـوسى بن عمران كما يقول ذلك من يقـوله من المتفلسفـة ومتصوفتهم الـذين يقولون إن تكليم مـوسى فيض فاض على قلبـه من العقل الفعـال ويقولون إن النبوة مكتسبة.



[الصنف الثـالث] والنوع الثالث الذين يقولـون إن موسى أفضـل لكن صاحب الـرياضـة قد يسمـع الخطاب الـذي سمعه ولكن مـوسى مقصـود بـالتكليم دون هذا كما يـوجـد هـذا في أخبـار صـاحب (مشكـاة

= ٣ ــ شرح فصوص الحكم. من كلام محيـي الدين ابن العربـي.
٤ ــ شـرح كلمـات الصــوفيـة، والـرد على ابن تيميـة. من كـلام محيـي الـدين ابن العربـي.
٥ ــ الحب والمحبة والإلّهية. من كلام محيـي الدين ابن العربـي.
٦ ــ الطريق إلى الله تعالى، الشيخ والمريد. من كلام محيـي الدين ابن العربـي.
٧ ــ شــرح رسـالــة روح القـدس في محــاسبـة النفس. مـن كـلام محيـي الــدين ابن العربـي.
٨ ــ الخيال عالم البرزخ والمثال.
ويليه: الرؤيا والمبشرات. من كلام محيـي الدين بن العربـي.
٩ ــ محيـي الدين ابن العربـي. ترجمة حياته من كلامه.
واعلم أن هذه المؤلفات وأمثالها يجب حرقها وتحرم قراءتها ومطالعتها واقتناؤها.
إلّا لمن أراد الرد عليها والله أعلم.

الأنوار)[1] وكذلك سلك مسلكه صاحب (خلع النعلين)[2] وأمثالهما.



[كفر من ادعى أن له طريقاً يوصله لرضوان الله غير الشريعة]

وأما قوله في أول الشعر لمن يخاطبه (إلزم الشرع يا فقيه وصلٍ) يشعر بأنك أنت تبع الشرع وأما نحن فلنا إلى الله طريق غير الشرع ومن ادعى أن له إلى الله طريقاً يوصله إلى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التي بعث الله بها رسوله فإنه أيضاً كافر يستتاب فإن تاب وإلاَّ ضربت عنقه كطائفة أسقطوا التكليف وزعموا أن العبد يصل إلى الله بلا متابعة الرسل وطائفة يظنون أن الخواص من الأولياء يستغنون عن متابعة محمد ﷺ كما استغنى الخضر عن متابعة موسى وجهل هؤلاء أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ومحمد ﷺ رسول إلى كل أحد ظاهراً وباطناً مع أن قضية الخضر لم تخالف شريعة موسى بل وافقتها ولكن الأسباب المبيحة للفعل لم يكن موسى علمها فلما علمها تبين أن الأفعال توافق شريعته لا تخالفها[3].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد إلى المأذنة ينشد أبياتاً يذكر فيها الفراق والبين وتفرق الأحباب فأنكر عليه رجل فقال له لا تفعل هذا وعليك بالتسبيح والتحميد والقصائد الربانية فهل أصاب أم لا؟

أجاب رضي الله عنه: الحمد لله نعم يُنهى المؤذن أن ينشد

---

(١) انظر كشف الظنون (٤/٤٨٧).

(٢) هو أبو القاسم أحمد بن قسي الأندلسي المتوفي سنة (٥٤٥هـ) صاحب كتاب «خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين» وهو كتاب مختصر شرحه ابن عربي والشيخ عبدي شارح الفصوص.

[انظر كشف الظنون (١/٧٢٢)].

(٣) انظر «الزهر النضر في نبأ الخضر» لابن حجر العسقلاني بتحقيقنا.

الأبيات التي هي من جنس النياحة والمراثي وكذلك ما كان من جنس الغزل فإن في ذلك مفاسد كثيرة وليس ذلك من ذكر الله المشروع للمؤذن ولا بأس بالآيات المتضمنة لذكر الآيات والأخبار والتوبة والاستغفار[1] والله أعلم.



---

(١) بل ينهى المؤذن أن ينشد الأبيات المتضمنة لذكر الآيات والأخبار والتوبة والاستغفار.

● قال القاسمي في «إصلاح المساجد» ص ١٣٤: «وفي «الإقناع» وشرحه من كتبهم ـ أي الحنابلة ـ أيضاً: وما سوى التأذين قبل الفجر من التسبيح والنشيد ورفع الصوت بالدعاء ونحو ذلك في المآذن فليس بمسنون.

وما أحد من العلماء قال إنه يستحب بل هو من جملة البدع المكروهة لأنه لم يكن في عهده ﷺ، ولا عهد أصحابه، وليس له أصل فيما كان على عهدهم يردّ إليه فليس لأحد أن يأمر به، ولا ينكر على من تركه، ولا يعلق استحقاق الرزق به لأنه إعانة على بدعة ولا يلزم فعله ولو شرطه واقف لمخالفته السنة»اهـ.

● وقال ابن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس» (ص ١٥٧): «وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنارة فيعظ ويذكر. ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع، فيمنع الناس من نومهم، ويخلط على المتهجدين قراءتهم. وكل ذلك من المنكرات»اهـ.

● وقال الشقيري في «السنن والمبتدعات» (ص ٤٩): «وقولهم قبل الفجر على المنائر: يا رب عفواً بجاه المصطفى كرماً: بدعة وتوسل جاهلي، وكذا التسبيح أو القراءة أو الأشعار بدع في الدين، مغيرة لسنة الأمين ﷺ»اهـ.

● أما حكم بناء المنارة، فقد قال المحدث الألباني في «الأجوبة النافعة» (ص ١٨): «. . . فالذي نجزم به أن المنارة المعروفة اليوم، ليست من السنة في شيء، غير أن المعنى المقصود منها ـ وهو التبليغ ـ أمر مشروع بلا ريب، فإذا كان التبليغ لا يحصل إلا بها، فهي حينئذٍ مشروعة لما تقرر في علم الأصول: أن ما لا يقوم الواجب إلَّا به فهو واجب. غير أن من رأيي أن وجود الآلات المكبرة للصوت اليوم يغني عن اتخاذ المأذنة كأداة للتبليغ، لا سيما وهي تكلف المبالغ الطائلة. فبناؤها والحالة هذه مع كونه بدعة ـ ووجود ما يغني عنه ـ غير مشروع لما فيه من إسراف وتضييع للمال، ومما يدل دلالة قاطعة على أنها صارت اليوم عديمة الفائدة، أن المؤذنين لا يصعدون إليها البتة مستغنين عنها بمكبر الصوت»اهـ.

وللمزيد في معرفة بدع الأذان والإقامة وما يتعلق بها. فانظر كتابنا: «إرشاد الأمة إلى فقه الكتاب والسنة» جزء الصلاة ـ باب الأذان أعاننا الله على إكماله.

فصل
[الكلام على الفطرة]

نافع إن شاء الله لمن تدبره في قوله تعالى:
﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1].

قال العلماء من المفسرين والنحاة[2] معناه الزموا واتبعوا دين الله الذي خلق الناس له ولهذا نصب على المصدر ومعنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة وفطر الناس عليها أي لها وهذه الفطرة أضافها الله إليه إضافة مدح لا إضافة ذم فعلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة يبين ذلك قوله:
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

ولهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الأول عند سيبويه وأصحابه فدل على أن إقامة الوجه للدين حنيفاً هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، مثل قوله كتاب الله عليكم وسنة الله فهو عندهم منصوب بفعل مضمر لازم إضماره دل عليه الفعل المتقدم كأنه قال: كتب الله عليكم وسن الله لكم وكذلك وفطر الله الناس على ذلك.



[أقوال العلماء في تفسير الفطرة]

ثم اختلف العلماء والمفسرون في تفسير الفطرة على أقوال وكذلك الخلاف في قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة إقرأوا إن شئتم:
﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٢) كالزمخشري في «الكشاف» (٣/٢٠٤) وحاشية الجمل على الجلالين (٣/٣٩١) وإعراب القرآن للنحاس (٣/٢٧١) والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢/١٠٤٠).

رواه البخاري[1] ومسلم[2] فالفطرة المراد بها الإسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب. وسئل مجاهد[3] عن الفطرة فقال هي الإسلام وكذلك قاله قتادة[4] ثم قال مجاهد: (لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله) قال: لا تبديل لدين الله وقاله سعيد بن جبير[5] وقتادة والنخعي[6] وروي عن ابن عباس[7] وعكرمة[8] في إحدى الروايتين عنهما والقول بأن الفطرة الإسلام هو إحدى الروايات عن الإمام أحمد وقاله ابن عبد البر في التمهيد[9]. وقال آخرون والفطرة هُهنا الإسلام قال وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل قاله في تفسير هذا الحديث المتقدم. ثم قال وأما قوله:

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

فقد أجمعوا على أن قالوا دين الإسلام انتهى: وليس كما قال وذكر القرطبي في تفسيره[10] أقوالاً في الفطرة (منها) **دين الإسلام** وهو المعروف عند عامة السلف إلى أن قال ومعنى هذا أن الطفل خلق سليماً من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على

---

(١) في صحيحه (رقم: ١٢٩٢/ ١٢٩٣ ــ البغا) (ورقم: ١٣١٩ ــ البغا).

(٢) في صحيحه (٤/٢٠٤٧ ــ ٢٠٤٩ رقم ٢٦٥٨).

(٣) أخرجه الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر ــ عنه ــ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٦/٤٩٢).

(٤) أخرجه ابن مردويه ــ عنه ــ كما في المرجع السابق (٦/٤٩٣).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١/ج ١١/٤١).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١/ج ١١/٤١).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ــ كما في «الدر المنثور» (٦/٤٩٣).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر ــ كما في «الدر المنثور» (٦/٤٩٢ ــ ٤٩٣).

(٩) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٣/٢٤٨) والقرطبي في تفسيره (١٤/٢٥).

(١٠) (١٤/٢٥ ــ ٣١).

ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه[1] وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار[2] انتهى.

وقال أبو بكر النقاش[3] اختلف أهل التأويل في الفطرة فقيل على ملة إبراهيم ثم ذكر قريباً مما ذكره القرطبي.



[أدلة القائلين بأن الفطرة هي ملة إبراهيم]

وقد احتج لهذا القول بأدلة.

(منها) حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين وقد تقدم[4].

---

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة الأعراف الآية (١٧٢):
﴿وإذا أخذَ ربُّكَ من بني آدمَ من ظُهورِهِم ذريَّتَهُم وأشهدَهُمْ على أنفُسِهِم ألستُ بربكم قالُوا بلى﴾.

(٢) انظر «أطفال المسلمين في الجنة» للشوكاني بتحقيقنا. ويليه: «مصير أطفال الكافرين في الآخرة» بإعدادنا. ن: دار الهجرة بصنعاء.

(٣) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر، أبو بكر النقاش عالم بالقراءات والتفسير. أصله من الموصل. ولد ببغداد سنة (٢٦٦هـ) ونشأ بها، وسمع بالشام، ومصر والجزيرة، والموصل، والجبال، وخراسان، وما وراء النهر، والكوفة، والبصرة، ومكّة.

وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان، فعرف بالنقاش. ضعفه جماعة. قال البرقاني: «كل حديث النقاش منكر» وقال الخطيب البغدادي: «في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة». وقال الذهبي: «الذي وضح أن هذا الرجل مع جلالته ونبله متروك ليس بثقة».

من تصانيفه: «شفاء الصدور المهذب في تفسير القرآن». قال هبة الله اللالكائي: «تفسير النقاش شقاءٌ للصدور وليس شفاء الصدور»، وله «الإشارة في غريب القرآن» و «الموضح في معاني القرآن».

توفي سنة (٣٥١هـ).

[معجم المفسرين لعادل نويهض (٢/٥١٣) وتاريخ بغداد (٢/٢٠١) ومعجم المؤلفين (٩/٢١٤) ووفيات الأعيان (٤/٢٩٨ رقم ٦٢٧)].

(٤) قريباً. تحت عنوان: «أقوال العلماء في تفسير الفطرة».

(ومنهـا) ما ثبت في صحيح مسلم[1] عن عِياض بنِ حِمَار المُجاشِعيِّ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: خلقتُ عبادي حُنَفَاءَ مسلمين فاجتالتهم الشياطين وحَرَّمَتْ عليهم ما أحللتُ لهم وأمَرَتْهُمْ أن يُشْرِكُوا بي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلطاناً.

(ومنهـا) ما رواه الترمذي[2] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد من والد كافر أو مسلم يولد على فطرة الإسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتالَتْهم عن دينهم فهوَّدتْهُم ونَصَّرتْهم ومجَّستهم وأمرتهم أن يُشركوا بالله ما لم يُنَزِّل به سُلطاناً».

(ومنهـا) ما في الصحيحين[3] خمس من الفطرة، أي من فطرة الإسلام. وفي مسلم[4] ورواه أحمد[5] وأبو داود [6] عشر من الفطرة وفي لفظ عشر من سنن الإسلام.

وقال جماعة من الفقهاء والمفسرين: كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها في المعرفة بربه عز وجل معرفة مخالفة لخلقة

---

(١) (٤/٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥).

(٢) أي الحكيم. في نوادر الأصول (ص ٨٦) وأورده التقي الهندي في كنز العمال (١/٢٦٦ رقم ١٣٣٦) وعزاه للحكيم الترمذي.

(٣) البخاري (١٠/٣٣٤ رقم ٥٨٨٩) ومسلم (١/٢٢١ رقم ٢٥٧).
قلت: وأخرجه أبو داود (٤/٤١٢ رقم ٤١٩٨) والترمذي (٥/٩١ رقم ٢٧٥٦) والنسائي (١/١٤ رقم (١٠) و (١/١٥ رقم ١١) وابن ماجه (١/١٠٧ رقم ٢٩٢) وأحمد في المسند (٢/٢٢٩، ٢٣٩، ٢٨٣، ٤١٠، ٤٨٩) والبيهقي (١/١٤٩) وأبو عوانه (١/١٩٠) والحميدي في المسند (٢/٤١٨ رقم ٩٣٦) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في صحيحه (١/٢٢٣ رقم ٥٦/٢٦١).

(٥) في المسند (٦/١٣٧).

(٦) في السنن (١/٤٤ رقم ٥٣).
قلت: وأخرجه الترمذي (٥/٩١ رقم ٢٧٥٧ وابن ماجه (١/١٠٧ رقم ٢٩٣) والنسائي (٨/١٢٦ رقم ٥٠٤٠) وأبو عوانة (١/١٩٠ ــ ١٩١).

البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته والفاطر الخالق وقوله تعالى:

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾(١).

يعني الذي خلقني ووجهوا هذا بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني سليمة هل تحسون فيها من جدعاء مقطوعة الأذن، قالوا ففي هذا الحديث تمثيل أولاد بني آدم وأولاد البهائم لا نقص فيهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية يرد على من قال كل مولود يولد على ما سبق له في علم الله أنه سائر إليه.

قال الشيخ ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هي مولودة على ما سبق في علم الله لها وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقاً على الفطرة وأيضاً فلو كان المراد بذلك لم يكن لقوله فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه معنى فإنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فلا فرق بين التهويد والتنصير.

ثم قال بعد أسطر فتمثيله ﷺ بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدعت يبين أن أبويه غيرا ما ولد عليه.

ثم قال بعد ذلك وقولكم خلقوا خاليين من المعرفة والإنكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحداً منها بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر فهذا قول فاسد جداً فحينئذ لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار والتهويد والتنصير والإسلام وإنما ذلك بحسب الأسباب فكان ينبغي أن يقال فأبواه يسلمانه ويهودانه

---

(١) سورة يس: الآية (٢٢).

وينصرانه فلما ذكر أن أبويه يكفرانه وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام علم أن حكمه في حصول سبب مفصل غير حكم الكفر.

ثم قال بعد ذلك ففي الجملة كل ما كان قابلاً للمدح والذم على السواء لا يستحق مدحاً ولا ذماً والله تعالى يقول:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾[1].

فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها.

وأيضاً فالنبي ﷺ شبهها بالبهيمة المجتمِعَة الخَلْق وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجدع الأنف ومعلوم أن كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة[2] اهـ.



[الأحكام المترتبة على الفطرة]

وقد ذكر الخلال[3] في جامعه في كتاب أحكام الملل باب الحكم المترتب على الفطرة.

---

(١) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٢) قلت: انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/٢٤٥ ـ ٢٤٧) و(٩/٣١٣ ـ ٣١٤) و(١٠/١٣٤ ـ ١٣٥) و(١٦/٣٤٤ ـ ٣٤٦) و(٢٠/١١٤ ـ ١١٥).

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخَلَّال. الحافظ الفقيه. ولد في سنة أربعٍ وثلاثين ومئتين، أو في التي تليها، فيجوز أن يكون رأىٰ الإمام أحمد، ولكنّه أخذ الفِقه عن خلقٍ كثير من أصحابه، وتلمذ لأبي بكر المَرْوَزيّ. ورحل إلى فارس، وإلى الشام، والجزيرة يتطلّب فِقه الإمام أحمد، وفتاويَه وأجوبتَه، وكتب عن الكبار والصِّغار، حتى كتب عن تلامذتِهِ، وجمع فأوعى، ثم إنَّه صنَّف كتاب «الجامع في الفقه» من كلام الإمام بأخبرنا وحدَّثنا، يكون عشرين مجلداً. وصنَّف كتاب: «العلل» عن أحمد في ثلاثة مجلدات، وألَّف كتاب: «السُّنَّة» وألفاظ أحمد، والدليل على ذلك من الأحاديث. في ثلاثة مجلّدات، تدلُّ على إمامته وسَعَةِ علمه، ولم يكن قبلَه للإمام مذهبٌ مستقل، حتى تتبع هو =

(أنبأ) المَرْوَزِيّ أن أبا عبد الله قال في سبي أهل الحرب أنهم مسلمون إذا كانوا صغاراً وإن كانوا مع أحد الأبوين ويحتج بالحديث وذكر عنه نصوصاً كثيرة في هذا الباب.

وقد سئل الزهري[1] عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزيه رضيع يعتقه قال: نعم لأنه ولد على الفطرة وهي الإسلام وقال الزهري يصلىٰ على كل مولود متوفىٰ وإن كان لبغية لأنه ولد على فطرة الإسلام. والإسلام: هو قول «لا إله إلاَّ الله» وذلك في قوله تعالى:

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[2].

قال ابن عباس وأكثر المفسرين[3] قول لا إله إلاَّ الله ولهذا كان معلوماً بالفطرة أنه لا بد لكل موجود من موجد ولكل مصنوع من صانع كما قال تعالى:

= نصوص أحمد، ودوَّنها، وبَرْهنها بعد الثلاث مئة، فرحمَهُ الله تعالى. وكانت وفاته سنة (٣١١هـ).

[تاريخ بغداد (١١٢/٥ ــ ١١٣) والنجوم الزاهرة (٢٠٩/٣) وشذرات الذهب (٢٦١/٢) والمنتظم (١٧٤/٦) وطبقات الحنابلة (١٢/٢ ــ ١٥)].

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهْرة بن كلاب بن مُرّة، الإمام أبو بكر القُرَشيّ الزهريّ المدنيّ أحد الأعلام، من تابعي أهل المدينة من الطبقة الرابعة، كان حافظ زمانه، قال الليث بن سعد قال ابن شهاب ما صبرَ أحد على العلم صبري، ولا نشره أحد نشري، ولد سنة خمسين، وطلب العلم في أواخر عصر الصحابة، وله نيف وعشرون سنة. وقد توفي سنة (١٢٤هـ).

[النجوم الزاهرة (٢٩٤/١) وحلية الأولياء (٣٦٠/٣) وتهذيب الأسماء واللغات (٩٠/١ ــ ٩٢) ووفيات الأعيان (١٧٧/٤)].

(٢) سورة الزمر: الآية (٢٢). وتتمتها: ﴿فَهُوَ على نورٍ من رَبِّه، فويلٌ للقاسيةِ قلوبُهُم من ذِكرِ اللَّهِ أولئك في ضلالٍ مبين﴾.

(٣) انظر «جامع البيان» (١٢/ج ٢٣/ ٢٠٩) و«الدر المنثور» (٢١٩/٧ ــ ٢٢٠).

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[1].

يقول أخلقوا من غير خالق خلقهم أم خلقوا أنفسهم مع اعترافهم:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[2].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ...﴾[3] الآيات الثلاث.

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم إلى الرب قبل علمهم بحاجتهم إلى الإله المعبود وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة كان إقرارهم بالله إقراراً فطرياً من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة ألوهيته ولهذا إنما بعثت الرسل تدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فتفاصيل الأمر والنهي إنما تعرف من جهة الرسل.

وأما الرب تعالى فهو معروف بالفطرة:

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾[4].

فالمشركون من عباد الأصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به أنه ربهم وخالقهم ورازقهم وأنه رب السموات والأرض والشمس والقمر وأنه المقصود الأعظم، ولهذا

---

(١) سورة الطور: الآية (٣٥).

(٢) سورة الزمر: الآية (٣٨).

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان (٨٦ و ٨٧).

(٤) سورة إبراهيم: الآية (١٠).

قال النبي ﷺ لأبي عمران بن حصين: «كم تعبد اليوم إلهاً»، قال: ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: «فأيهم تعبد لرغبتك ورهبتك»، قال: الذي في السماء. رواه الترمذي[1]. فالله تعالى فطر الخلق كلهم على معرفته فطرة توحيد حتى من خلق مجنوناً مطبقاً مصْطَلَماً[2] لا يفهم شيئاً ما يحلف إلاَّ به ولا يلهج بلسانه بأكثر من اسمه المقدس فطرة بالغة.

ولقد حدثنا شيخنا ابن قاضي الجبل[3] عن بعض العلماء لا أستحضِرُه قال: لو تُرك طفل رضيع في بيت لا يكلم وله من يقوم بأمره لعرف ربه ونطق بالسريانية وكونه نطق بفطرته التي فطر عليها لم يستبعد. فنوع الإنسان أشرف من كثير من المخلوقات، قال ابن عباس: من جميع المخلوقات قاله في قوله:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾[4].

---

(١) في السنن (٥/٥١٩ رقم ٣٤٨٣) وقال: حديث غريب.

قلت: وأخرجه البخاري في التاريخ (٣/١) والطبراني في الكبير (١٨/١٧٤ رقم ٣٩٦).

قلت: شبيب بن شيبة: أخباري، صدوق، يهم في الحديث. قاله ابن حجر في التقريب (١/٣٤٦ رقم ١٣). وزيادة على ذلك ما قيل من أن الحسن لم يسمع من عمران، وأنه مدلس وقد عنعن فهو ضعيف بهذا الإسناد.

وأخرج أحمد في المسند (٤/٤٤٤) وابن حبان (ص ٦٠٢ رقم ٢٤٣١ ـ موارد) من حديث حصين مطولاً فهو به حسن إن شاء الله.

لكن المحدث الألباني ضعفه في ضعيف الترمذي رقم (٦٩٠/ ٣٧٣٠).

(٢) أي مستأصل الفهم والمدارك.

(٣) لم أعثر على ترجمته الآن؟

(٤) سورة الإسراء: الآية (٧٠).

ولا شك أنه أفضل من الجمادات.



[تسبيح الجمادات] وقد فطر الله الجمادات على تسبيحه وتحميده وتنزيهه نطقاً لا يفهمه إلَّا الذي أنطقها به قال تعالى:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1].

قال شيخنا ابن قاضي الجبل في هذه الآية قال تسبيحها تسبيح حقيقي، ولهذا قال إنه كان حليماً غفوراً، أي إذا كانت الجمادات التي لا تتنعم تسبح بحمد خالقها فهو حليم غفور إذ لم يعاجل المقصرين الذين كملت النعمة في حقهم بالعقوبة وقال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾[2] الآية.

وقال تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

وقال تعالى:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4].

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٤٤).

(٢) سورة النور: الآية (٤١).

(٣) سورة الحشر: الآية (١).

(٤) سورة الجمعة: الآية (١).

والآيات كثيرة في هذا الباب وقد أتى بلفظ الماضي الدال على وقوع التسبيح وصدوره بلفظ المضارع الدال على استمرار التسبيح وتجدده كل وقت ولا يستنكر معرفتها بخالقها وتسبيحها بحمده إذ قد فطرها عليه كما فطر بني آدم على الإقرار بربوبيته:

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[1].

لم يتخلف منهم أحد.



[تسبيح العباد بكرة وعشياً]

وكما أخبر الله عن عباده أنهم يسبحونه بكرة وعشياً في قوله تعالى:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ...﴾[2].

وقال تعالى:

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[3].

وقال تعالى:

﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[4].

وكذلك أخبر سبحانه عن الجبال فقال تعالى في حق داود:

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٢).

(٢) سورة النور: الآيتان (٣٦ و٣٧).

(٣) سورة مريم: الآية (١١).

(٤) سورة الأحزاب: الآيتان (٤١ و٤٢).

(٥) سورة صٓ: الآية (١٨).

قال أبو هريرة كان داود إذا سبح أجابته الجبال والطير بالتسبيح والذكر. وقال أبو الفرج ابن الجوزي قد روي أن داود كان إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح، وقد ثبت في صحيح مسلم[1] أن النبي ﷺ مر بجبل جُمْدان فقال: «هذا جُمْدانُ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ»، قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»، فهذا جبل سبق المفردين بذكر الله إلى ذكر الله بل قد أخبر سبحانه أنه خاطب الجمادات فقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[2].

والتأويب هو ترجيع التسبيح، وأخبر سبحانه عن الحجارة أن منها لَمَا يهبِط من خشية الله[3]. وهذا يدل على أنها تعرف ربها معرفة تليق بها فإن الخشية تستلزم العلم بالمخشي وكذلك قوله:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[4].

وهذا خطاب من يعرف ربه ويعقل أمره وليس هذا خطاب تكوين لمعدوم فإنه خاطبهما بعد وجودهما وكذلك قوله:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾[5].

---

(١) (٤/٢٠٦٢ رقم ٤/٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة سبأ: الآية (١٠).

(٣) يشير إلى الآية (٧٤) من سورة البقرة: ﴿ثم قَسَتْ قلوبُكُم من بعدِ ذلِك فهي كالحجارة أو أشدُّ قسوةً وإنَّ من الحجارةِ لَمَا يتفجَّرُ منه الأنهار، وإنَّ منها لما يشقق فيخرج منه الماءُ وإن منها لما يهبطُ من خشية الله...﴾.

(٤) سورة فصلت: الآية (١١).

(٥) سورة الانشقاق: الآيتان (١ و٢).

ومعنى أذنت أصغت واستمعت لقوله وأمره، وكذلك إخباره عن الأرض يوم القيامة أنها يومئذ تحدث أخبارها[1] وفي الترمذي[2] أن النبي ﷺ قال: «أتدرونَ ما أخبارُها»، قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلَمُ، قال: «أَنْ تَشْهَدَ على كلِّ عبدٍ بما عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا من خير أو شر»، وهذه شهادة نطق لما تحملته من الشهادة في هذه الدار لما أوحى لها فإنه تعالى قال:

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[3].

وكذلك أخبر سبحانه وتعالى عن سجود المخلوقات له فقال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾[4].

ولو كان سجودها هو مجرد دلالتها على الصانع كما يقوله بعض المفسرين لما اختص بكثير من الناس بل جميع العالم دال على صانعه وأمثال هذا كثير في القرآن وما كان بهذه المثابة كيف

---

(١) يشير إلى الآية (٤) من سورة الزلزلة: ﴿يومئذٍ تحدثُ أخبارها﴾.

(٢) في السنن (٥/٤٤٦ رقم ٣٣٥٣) وقال: حديث حسن صحيح.

قلت: وأخرجه أحمد في المسند (٢/٣٧٤) والحاكم في المستدرك (٢/٥٣٢) وقال: حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: في سنده «يحيى بن أبي سليمان» ليَّنه الحافظ في «التقريب» (٢/٣٤٩ رقم ٨٤) وباقي رجاله ثقات.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٥٩٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) سورة الزلزلة: الآية (٥).

(٤) سورة الحج: الآية (١٨).

يستنكر معرفته لربه وسجوده له وتسبيحه بحمده. ولو لم يكن في هذه الآيات إلَّا قوله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(1).

في أوائل هذه السور فإنه سبحانه أتى بلفظ ما المتناولة لغير أولي العلم قطعاً إماً اختصاصاً وإما تغليباً ولا يصح حملُ ما ذكرنا من الآيات على أولي العلم وتخصيصُها بهم إذ لو أريد ذلك لجيء بلفظ مَنْ المختصة بمن يعقل وإن كان قد وقع في القرآن ما لمن يعقل ومن لما لا يعقل ففيه بحث ليس هذا محل ذكره.

والمقصود إذا كانت هذه الجمادات قد فطرت على معرفة ربها وتسبيحه وتنزيهه والإنسان أشرف منها فلأن يفطر هو على معرفته بربه بطريق الأولى والأحرى لما ركب الله فيه من العقل والتمييز والفطنة لا سيما وقد نطق الكتاب والسنة بأنه فطره على الإسلام والإسلام كلمة التوحيد كما تقدم وإن كان الإسلام في الأصل هو الاستسلام والانقياد.



فصل [الكلام على أن معرفة الله تعالى فطرية]

ومن تمام الكلام على أن معرفة الله تعالى فطرية وتقدم الاستدلال بالآية والحديث فإن أوَّل ما يبدأ به في الاستدلال الكتابُ والسنة ثم أقوال العلماء والمفسرين وإن كان في أصل المسألة الناس متنازعين في أصل المعرفة بالصانع هل هي فطرية أو نظرية، وإن شيخ الإسلام ابن تيمية يفصل فيقول يختلف باختلاف الناس ولكن الصحيح أنها فطرية لأنه قد ثبت أن

---

(1) سورة الحشر: الآية (1).

النبي ﷺ قال: «كل مولود يولد على الفطرة»[١]، ولكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها فتحتاج حينئذ إلى النظر فهي في الأصل ضرورية وقد تكون نظرية. ثم المعرفة الواجبة لا تتعلق بنظر خاص بل قد تحصل ضرورية فتصفية النفس ورياضتها من أعظم الأسباب في حصول المعرفة الضرورية ولكن قد تحتاج إلى أمور يجب الإيمان بها فيتوقف على النظر فيجب النظر لما طرأ على الفطرة من الفساد فإن كون هذا العالم لا بد له من صانع وخالق ومدبر فهذا ضروري فكونه لا يعرف هذا إلَّا بطريق النظر فيه نظر وأي نظر بل هو معلوم عقلاً وواجب عقلاً وقد أركزه الله تعالى في فطرة مخلوقاته متحركها وساكنها ناطقها وصامتها حيوانها وجمادها كما تقدم أنها مسبحة بحمده عارفة به.

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ومع دلالتها على الوحدانية مسبحة بحمده معترفة به تسجد له وأن جميع المخلوقات خلا كفار الثقلين تسبح بحمده وتسبيح كل شيء بحسبه فلولا أن كل شيء يسبح بحمده وينزهه ويعظمه بما لا نفهمه نحن ولا يعلمه إلَّا الذي أنطقه به لما أخبرنا به وأنه دال على عظمته.

وقد روينا في جزء الفريابي[٢] في كتاب الذكر له بإسناده

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هو محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الفِريابي، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، أبو عبد الله الضبيُّ، مولاهم، نزيل قَيْسارِيَّة الساحل من أرض فلسطين. ولد سنة بضعٍ وعشرين ومئة.

وتوفي سنة اثنتي عشرة ومئتين.

[شذرات الذهب (٢/٢٨) والرسالة المستطرفة (ص ٥١) والجرح والتعديل (٨/١١٩)].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الجبل لينادي الجبل مقابله باسمه هل مر بك اليوم ذاكِرٌ لله عز وجل فإن قال نعم فيقوز هنيئاً لك لكن ما مر عليَّ اليوم أحد يذكر الله).

وروى أيضاً بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال: (ما من صباح ولا رواح إلَّا تنادي بقاع الأرض بعضُها بعضاً يا جارة هل مر بك اليوم عبد فصلَّى عليك لله أو ذكر الله عليك فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فإذا قالت نعم رأت بذلك لها فضلاً) فكل فطرة سليمة لم تَجْتَلْها الشياطين ولم تفسد عليها فطرتها تصدق بذلك وتُقِرُّ به وتزداد إيماناً ولا يقول هذه أخبار آحاد[1] وآثار لا تفيد شيئاً في هذا الباب وإنما هذه من باب الفرجة والمطالعة.

قلنا يكفينا ما تقدم لنا من إخبار الله تعالى في القرآن من الدليل القطعي عن الحجارة أن منها لما يهبط من خشية الله[2]، وهذا يدل على أنها تعرف ربها معرفة تليق بها وإلا لما هبطت من خشيته فإن الخشية تستلزم العلم بالمخشي وقد تقدم ذلك.

قال ابن عبد السلام[3] للعلماء في الحجارة وأنها تهبط من

---

(١) خبر الآحاد هو ما لم يجمع شروط المتواتر. وينقسم إلى: مشهور وعزيز، وغريب.
- والمشهور: ما رواه ثلاثة فأكثر ـ في كل طبقة ـ ما لم يبلغ حد التواتر.
- والعزيز: أن لا يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند.
- والغريب: هو ما ينفرد بروايته راوٍ واحدٌ.

[انظر «تيسير مصطلح الحديث» للدكتور: محمود الطحان: ص ٢٢ ـ ٣٢].

(٢) يشير إلى الآية (٧٤) من سورة البقرة: ﴿ثم قستْ قلوبُكم من بعدِ ذلِكَ فهي كالحجارةِ أو أشدُّ قسوةً وإنَّ من الحجارةِ لَمَا يتفجرُ منه الأنهار وإنَّ منها لَمَا يشققُ فيخرجُ منه الماءُ وإنَّ منها لَمَا يهبِطُ من خشية الله﴾.

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي، كنيته أبو محمد، ولقبه عز الدين. واختصر بالعز جرياً على عادة علماء عصره، وعرف بسلطان العلماء وبائع الملوك، أصله الأول من =

خشية الله ثلاثة مذاهب: قالت الصوفية: هي حيوان وفيها جزء حي تسبح الله تعالى وتخر له وتسجد له، وقال آخرون: هذا من مجاز التشبيه. وقال الأشعري: الله تعالى يخلق لها حياة عند إرادة ذلك منها نحو جبل الطور. انتهى كلامه ذكره في النكت.

قلت ما ذكره من هذه الأقوال. أما القول الأول فهو قول بعض جهلة الصوفية[1] وإلا فكون الحجارة حيواناً مما يُعلم

= المغرب، ثم بحكم الهجرات التي توالت على قبائل العرب عبر التاريخ نزحت قبيلته إلى الشام، فأصبح شامياً بعد ذلك. وكان أمّاراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم. ولد سنة (٥٧٨هـ) وتوفي سنة (٦٦٠هـ).

[الذيل على الروضتين (ص٢١٦)، وفوات الوفيات لكتبي (٢/٣٥٠ ـ ٣٥٢) ومعجم المؤلفين (٥/٢٤٩)].

(١) واعلم أن الصوفية يحملون في مذهبهم لواءً عريضاً من المبتدعات والمستحدثات الخارجة عن السنَّة، وهاكم نماذج عنها؟!!

١ ـ إن الصوفية انصرفوا عن العلم وادعوا العمل لكن عملهم لم يوافق العلم الشرعي المطلوب.

٢ ـ إنهم انصرفوا عن القرآن وعلومه، وعن الحديث إلى الخطرات والخلوات.

٣ ـ إنهم ادَّعوا الكشف والعلم اللدني وجعلوه منافساً للعلوم الشرعية.

٤ ـ إنهم قالوا بالحلول إلَّا قليلًا منهم.

٥ ـ إنهم تجاوزوا الحدود في أمور العبادات: في الطهارة والصلاة.

٦ ـ إنهم اتخذوا ملابس خاصة، مثل الصوف والخرق والمرقعات، وزعموا أنها سنَّة مأثورة.

٧ ـ إنهم اتخذوا أوضاعاً شاذة في المطعم والمشرب، كادِّعائهم الصبر على الطعام أربعين يوماً وعلى الشراب سنَّة.

٨ ـ إنهم اصطنعوا السماع واجتمعوا عليه، وكذلك الرقص والتمايل والتواجد.

٩ ـ استنادهم إلى الرؤيا في استخراج الأحكام الشرعية.

١٠ ـ إنهم دعوا إلى التواكل، وقطع الأسباب، وترك الاحتراز في الأموال، وترك التداوي واعتباره منافياً للرضا.

١١ ـ إنهم أخذوا مصطلحات إسلامية معينة وحرفوا مراد الإسلام منها. كالتوحيد =

بالفطرة بطلانه. وأما القول الثاني كونه من مجاز التشبيه فإن هذا مما يشهد الكتاب والسنَّة ببطلانه. أما الكتاب فما تقدم لنا من الآيات على تسبيح كل شيء بحمده. وأما السنَّة فتسبيح الحصى في كف النبي ﷺ ثم في كف غيره من الصحابة تسبيحاً يسمعه الحاضرون[1]. وقال النبي ﷺ: «إني لأعرِفُ حَجَراً كان يسلُم عليَّ قبل أن أُبعث»[2]، فهذا الحجر عرف ربه وعرف رسوله ولو لم ينطق بكلام مسموع مفهوم مخصوص بذكر معين لما أخبر عنه

= والتوكل. فأرادوا بالأول الوحدة الكاملة والفناء المطلق. وبالثاني ترك التدبير، والانخلاع من الحول والقوة، ورؤية فاعل واحد.

١٢ ــ إنهم آثروا الوحدة والاعتزال، والانفراد عن الناس، وفضلوا عدم الزواج وترك طلب الأولاد حين الزواج، معتبرين أن الأولاد عقوبة شهوة الحلال.

١٣ ــ إنهم دعوا إلى السياحة والخروج لا لطلب العلم ولا للجهاد في سبيل الله، ولكن خروج إلى البراري والقفار ولم يستصحبوا معهم زاداً ولا طعاماً وسموه خروجاً على التوكل.

١٤ ــ الشطح والدعاوى، وادعاء الكرامات والمخاريق والشعبذة.

١٥ ــ ادعاؤهم رؤية الله والملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء، والعروج إلى السماوات... وغيرها...

انظر «الصوارم الحداد» للشوكاني بتحقيقنا (ص ١٠ ــ ١١).

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البزار (٣/١٣٥ ــ ١٣٦ رقم ٢٤١٣ و ٢٤١٤) والطبراني في الأوسط (٢/١٤٢ رقم ١٢٦٦).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٩٨) وقال: «رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف. قلت: وقد تقدم في الخلافة ــ (٥/١٧٩) ــ له طريق عن أبي ذر أيضاً، وقال الزهري فيها يعني الخلافة. رواه الطبراني في الأوسط..».

وانظر كلام الشيخ «حمدي بن عبد المجيد السلفي» في تحقيق «المعتبر» ص ١١١ ــ ص ١١٣ للزركشي.

وقال الحافظ في «الفتح» (٦/٥٩٢): «وأما تسبيح الحصى فليست له إلاَّ هذه الطريق الواحدة مع ضعفها...».

(٢) وهو جزء من حديث أخرجه مسلم (٤/١٧٨٢ رقم ٢/٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة.

ولهذا أخبر النبي ﷺ عن جبل جُمدان فقال: «هذا جمدان يحبنا ونحبه»[1] وكذلك أخبر عن أحد أنه يحبنا ونحبه وهذا جبل يبغضنا ونبغضه[2].

قال ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يتجلى لموسى تطاولت الجبال ليتجلى لها وتواضع زبير يعني الطور فتجلى له وهذا يدل على أنها تعرف ربها.

وروى ابن الجوزي عن معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله: «جعله دكاً»[3]، قال: صار لعظمته ستة أجبال فوقعت ثلاثة بالمدينة: أحد وورقان ورضوى ووقعت بمكة ثلاثة: ثَبير وحِراء وثَوْر.

بل هو سبحانه وتعالى قد خاطب الجمادات فقال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[4].

---

(١) فلينظر من أخرجه؟!! وتقدم بلفظ: «هذا جمدان سبق المفردون».

(٢) أخرجه البزار (٢/٥٨ رقم ١١٩٩ ـ كشف)، وأورده الهيثمي في المجمع (٤/١٣) وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وفيه: عبد المجيد بن أبي عيسى لينه أبو حاتم، وفيه من لم أعرفه.

قلت: وأخرج البخاري (٩/٥٥٣ رقم ٥٤٢٥) ومسلم (٢/١٠١١ رقم ٥٠٤/١٣٩٣) من حديث أنس مرفوعاً بلفظ: «هذا جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّهُ» يعني أحداً.

(٣) يشير إلى الآية (١٤٣) من سورة الأعراف: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلَّمَهُ رَبُّهُ قال رب أرني أنظر إليكَ، قال لن تراني ولكن انظُرْ إلى الجبلِ فإنِ استقرَّ مكانَهُ فسوفَ تراني. فلما تجلَّى ربُّهُ للجبلِ جعلَهُ دَكّاً وخرَّ موسى صَعِقاً. فلمَّا أفاق قالَ سبحانك تبتُ إليك وأنا أولُ المؤمنين﴾.

وانظر تفسيرها في «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي (٣/٢٥٦ ـ ٢٥٨) ط: المكتب الإسلامي.

(٤) سورة الأحزاب: الآية (٧٢).

فهذا الإباء والاستعفاء بعد أن عقلت خطابه وفهمته وعلمت عجزها.

وليس المقصود ذلك، وإنما المقصود أن الإنسان أشرف عند الله وأعظم من الجبال حتى من البيت لما روى ابن ماجه[1] عن ابن عمر قال: رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبةِ ويقولُ: «ما أطيبَكِ وأطيبَ ريحَك وأعظم حرمتكِ والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لحرمَةُ المؤمنِ أعظمُ عندَ اللَّهِ حُرْمَةً منكِ».

فمع شرف الإنسان لا يركب الله في فطرته وعقله ما يعرفه ربه من غير دليل نظري يحتاج فهمه إلى عسر وقد ينتقض عليه أو يشككه فيه من هو ألحن بحجته منه.



[معرفة الهدهد لله فطرية]

هذا الهدهد طير من الطيور وفي نظرنا عديم العقل يصيح كغيره من الطيور قد خاطب سليمان بأعظم التوحيد وأعلمه بغير ذلك فقال:

﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

إلى قوله:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2].

هذا كله كلام الهدهد كما اتفق على ذلك المفسرون،

---

(١) في السنن (٢/١٢٩٧ رقم ٣٩٣٢) من حديث عبد الله بن عمرو.
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/٢٨٥ رقم ١٣٧٧): «هذا إسناد فيه مقال: نصر بن محمد ضعفه أبو حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجاله الإسناد ثقات».
وأورد المنذري الحديث في الترغيب والترهيب (٣/٢٩٤ رقم ٩) وأشار إلى ضعفه.

(٢) سورة النمل: من الآية (٢٢) إلى الآية (٢٦).

فمعرفة الله تعالى فطرية قد فطر الله تعالى عليها جميع المخلوقات.

فإن أريد بالمعرفة المعرفة التامة وهي معرفته بصفات الكمال ونعوت الجلال فيما لم يزل ولا يزال ومعرفة أسمائه وما أمر به وما نهى عنه وما أخبر به وما أراده من عباده شرعاً وما كرهه منهم ولم يرضه ولم يُرِدْ وقوعه فهذا ما يعلم إلاّ بالسمع من جهة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فعبادة الله تعالى والإيمان به إنما يجب بالسمع ويلزم بالبلاغ.

قال الإمام أحمد في رواية المروزي معرفة الله تعالى في القلب تتفاضل وتزيد، وهذا يدل على أن المعرفة أصلها في القلب فطرية، ثم إنها تزيد وتتمكن بتظاهر الأدلة والقاضي أبو يعلى[1] في المعتمد استدل بهذه الرواية على أنها كسبية، وقال لأنها لو كانت فطرية لم تزد. وقال في رواية يعقوب أن المعرفة لا تزيد ولا تنقص، وهذه الرواية عكس الأولى وحملها القاضي على أنه أراد بالمعرفة ههنا الإقرار بالإسلام وهو لا يزيد ولا ينقص لأنه موقوف على الشهادتين وفيما قاله نظر، لأنه صدر في أول المسألة فقال: معرفة الله تحصل بأدلته الظاهرة وحججه القاهرة وهي أنفسنا والسمٰوات والأرض وما بينهما، وذلك أن آثار الصنعة لازمة لهذه الأشياء تدل على صانع صنعها ومنشىء أنشأها ذكره في المعتمد.

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء من كبار الحنابلة وعالم عصره في الأصول والفروع، وأنواع الفنون من أهل بغداد، ارتفعت مكانته عندالقادر والقائم العباسيين وولاه القائم قضاء دار الخلافة والحريم وحران، وحلوان، وكان قد امتنع، واشترط أن لا يحضر أيام المواكب، ولا يخرج في الاستقبالات، ولا يقصد دار السلطان، فقبل القائم شرطه. وله تصانيف كثيرة. ولد سنة (٣٨٠هـ) وتوفي سنة (٤٥٨هـ).
[الأعلام (٦/٩٩ ـ ١٠٠) وطبقات الحنابلة (٢/١٩٣ ـ ٢٣٠)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الكلام على سورة القلم، وذكر أن أول ما أوجب الله على نبيه وأمره به:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[1].

ثم قال بعد كلام كثير: «فقد بين أن الإقرار بالاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر يحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار أن المعرفة تحصل بالضرورة وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرته كما اعترف بذلك خلائق من أئمة المتكلمين». انتهى.

وقال الشيخ أيضاً في شرح الأصفهانية: وأما طريقة القرآن في إثبات الصانع فإنّا قد بينّا في غير هذا الموضع اختلاف الناس في الإقرار بالصانع هل هو فطري أو نظري، وبينّا قول من قال: إنه فطري وإن كل مولود يولد على الفطرة وإنه قد يصير نظرياً لبعض الناس لما يعرض له من الشبه ويستدل على ذلك بالأدلة الكثيرة. انتهى. فإذا قلنا هذا مُحْدَث وكل محدَث فلا بد له من مُحْدِثٍ، أو هذا ممكن وكل ممكن فلا بد له من موجب، أو هذا موجود وكل موجود فلا بد له من موجد، أو هذا مخلوق وكل مخلوق فلا بد له من خالق، أو هذا مصنوع وكل مصنوع فلا بد له من صانع، ونحو ذلك فهذا صحيح معلوم بالفطرة، وقد يقول من يتحذلق بذهنه ويتهم أذهان الناس بالفساد ويركن إلى ذهنه وعقله فيقول: هذا يدل على محدث مطلق وواجب مطلق وواحد مطلق لا يمتنع تصوره من وقوع الشركة فيه فلهذا يكله الله تعالى إلى ذهنه وفهمه وعقله فما يرشده الله إلى الصواب:

---

(١) سورة العلق: الآية (١).

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1].

فمن طلب الهداية من الله عز وجل واعترف بالعجز وعرف ربه بالقدرة ونفسه بالعجز وعلم أنه لا بد أن ينتهي إلى فاعل قديم لا يكون إلَّا واحداً وواجبٍ بنفسه لا يكون إلَّا واحداً فهو واحد مطلق عندنا، أليس هو معيناً في نفس الأمر وآيات الله سبحانه وتعالى دالة على نفسه المقدسة الشريفة فهذا وأمثاله ممن فسدت فطرته لا سيما في معرفة ربه فلا بد من النظر ولهذا قدمنا أنها فطرية، وأن الشيخ رحمه الله قال: وقد يعرض لبعض الناس من الشبه ما يفسد فطرته، فلا بد له من النظر وهذا الذي عرض هو ما ذكره النبي ﷺ في نفس الحديث: «أن كل مولود يولد على فطرة الإسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم، فمنهم من هودته ومنهم من نصرته ومنهم من مجسته»، ونقول ومنهم من وسوست له بما تشككه في خالقه وقد أخبر فقال عن رسله أنهم قالوا لقومهم:

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾[2].

يعني خالق السموات والأرض:

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[3].

أي خَلقني أفي الخالق شكّ. وقد قال:

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[4].

---

(1) سورة الكهف: الآية (١٧).

(2) سورة إبراهيم: الآية (١٠).

(3) سورة يس: الآية (٢٢).

(4) سورة فاطر: الآية (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ذهب طوائف من النظار إلى أن معرفة الله واجبة ولا طريق إليها إلاَّ بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد، وهذا القول إنما اشتهر في الأمة عن المعتزلة[1] ونحوهم، ولهذا قال أبو جعفر السمناني[2] وغيره إيجاب الأشعري النظر في

---

(١) المعتزلة تنفي الصفات عن الله تعالى خوفاً من التشبيه كما يزعمون، ولذا تأولوا جميع الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وأثبتها رسول الله ﷺ، ومن ذلك صفةُ الكلام لله تعالى فجعلوا القرآن الذي هو كلام الله متصلاً بباب العدل الذي هو أحد أصول التوحيد الخمسة عندهم ووجه اتصاله أن القرآن فعل من أفعال الله وباب العدل كلام في أفعاله وعلى هذا فهم يقولون: القرآن كلام الله ووحيه، وهو مخلوق محدث، ونعرف هذا بأحد طريقين:

(أ) أن يكون واقعاً على وجه لا يصح وقوعه على ذلك الوجه من القادرين بالقدرة كأن يوجد في حصاة أو شجرة أو حجر أو غير ذلك.

(ب) أن يخبرنا نبي صادق.

انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٥٢٧ ـ ٥٣٩). وقد فصل الأشعري كلام المعتزلة في كتابه المقالات (١/٢٦٧): «ولا شك أن هذا مخالف لما عليه سلف الأمة الذين أثبتوا صفات الكمال لله سبحانه وتعالى حسب ما جاء في القرآن والسنَّة. ومن ذلك صفة الكلام فالله يتكلم متى شاء وإذا شاء، وهي من صفات الأفعال، وقد كفَّر السلف من تأول تلك الصفة على نحو تأويل المعتزلة وغيرهم، وقد حكى بعض تلك الأقوال البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» (ص ٢٩ ـ ٤٦) تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، والإمام أحمد في كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص ١٣٠ ـ ١٣٤) تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمود القاضي السِّمناني من سمنان العراق، سكن بغداد، وكان فقيهاً متكلماً عالماً. سمع بالموصل نصر بن أحمد بن الخليل المرجىء، وببغداد أبا الحسن علي بن عمر الحربي، وأبا الحسن علي بن عمر الدارقطني، وأبا القاسم عبيد الله بن محمد بن حبابة الرازي وغيرهم. سمع منه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب وذكره في «التاريخ» فقال: كتبت عنه، وكان ثقة عالماً فاضلاً سخياً حسن الكلام، عراقي المذهب، ويعتقد في الأصول مذهب الأشعري، وكان له في داره مجلس نظر بحضرة الفقهاء، ويتكلمون، وكانت ولادته في سنة (٣٦١هـ) ووفاته =

المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال وقد دخل في هذا القول طوائف من الفقهاء من أصحاب الأئمة الأربعة كالقاضي أبي يعلى[1] وأتباعه مثل أبي الفرج الشيرازي[2] وأبي الخطاب[3] وابن عقيل[4] وغيرهم، ومع هذا فقد اختلف كلام الأشعري وأصحابه في إيجاب النظر، فقال أبو إسحاق الإسفرايني[5]: من اعتقد ما يجب اعتقاده هل يكتفي به اختلف الأصحاب فيه، ثم ذكر كلامه وكلام الأشعري وأصحابه مطولاً،

بالموصل وهو على القضاء بها في شهر ربيع الأول من سنة (٤٤٤هـ).
[الأنساب للسمعاني (٣/٣٠٦)].

(١) تقدمت ترجمته قريباً.

(٢) لم أعثر على ترجمته الآن؟!!

(٣) هو محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني أبو الخطاب البغدادي الحنبلي ولد سنة (٤٣٢هـ) له مصنفات كثيرة. منها «الهداية» في الفقه، و «الخلاف الكبير» المسمى بالانتصار في المسائل الكبار.
و «الخلاف الصغير» المسمى رؤوس الحنابلة، وغير ذلك. توفي سنة (٥١٠هـ)
[انظر الذيل على طبقات الحنابلة (١/١١٦ وما بعدها) وشذرات الذهب (٤/٢٧)].

(٤) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري المقرىء الفقيه وصاحب التصانيف منها كتاب «الفنون الذي يزيد على أربعمائة مجلد» وكان إماماً مبرزاً كثير العلوم خارق الذكاء. كانت ولادته سنة (٤٣١هـ) وتوفي سنة (٥١٣هـ).
[انظر لسان الميزان (٤/٢٤٣) والذيل على طبقات الحنابلة (١/١٤٢) وشذرات الذهب (٤/٣٥)].

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق، عالم بالفقه والأصول، كان يلقب بركن الدين، قال ابن تغري بردي: وهو أول من لقب من الفقهاء. نشأ في أسفرايين ــ بين نيسابور وجرجان ــ ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له فيها مدرسة عظيمة فدرّس فيها، رحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر. له كتاب «الجامع في أصول الدين»، خمس مجلدات، و «رسالة» في أصول الفقه. وكان ثقة في رواية الحديث. وله مناظرات مع المعتزلة. مات في نيسابور، ودفن في إسفرايين سنة (٤١٨هـ).
[الإعلام للزركلي (١/٦١) وشذرات الذهب (٣/٢٠٩)].

وذكر في المسألة قولين عنهم حتى إن أبا إسحاق نفسه اختلف كلامه ثم قال: واختلفوا أيضاً في النظر في قواعد الدين هل هو من فروض الأعيان أو من فروض الكفايات، والذين أوجبوا النظر منهم من قال: لا يصح الإيمان إلَّا به، ومنهم من قال: يصح الإيمان بدونه لكن تاركه عاصٍ، وهذه الأقوال كلها ما يقوم الدليل من الكتاب والسنَّة إلَّا على بعضها.

ورأيت بخط بعض الفضلاء من أصحابنا، وقال طوائف من العلماء: النظر لا يجب على أحد إما لأن الواجب الاعتقاد الجازم دون المعرفة وذلك لا يحتاج إلى نظر، وإما لأن المعرفة لها طرق غير النظر فتحصل ضرورة وقد تحصل إلهاماً وقد تحصل بالتصفية وهو قول طوائف من النظار والفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم، وهو قول طائفة من أصحاب أحمد والشافعي وغيرهما والله أعلم.

وقال بعض العلماء: يجب النظر في حال دون حال وعلى شخص دون شخص، فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الأحوال لا من اللوازم العامة فيقال كل علم وَجَبَ ولم يحصل إلَّا بالنظر وجب النظر، وأما إذا حصل ضرورة أو حصل العلم بدون النظر أو لم يكن العلم واجباً لم يكن النظر واجباً.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع من مصنفاته هذا الكلام، وقال: هذا أعدل الأقوال وكلام الأئمة والسلف إنما يدل عليه والذين أوجبوا النظر ليس معهم ما يدل على عموم وجوبه إنما يدل على أنه قد يجب فإنهم قالوا الواجب لا يحصل إلَّا به لقوله تعالى:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ . . . ﴾[1] الآية.

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾[2].

وقولـه:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾[3].

فهـذه النصوص خـطاب مع المتكبـرين الجاحـدين فأمـروا بـالنظر ليعـرفـوا الحق ويقـروا بـه، ولا ريب أن النـظر يجب على هؤلاء والـذين خالفـوا في وجـوب النـظر ومنعـوا قـالـوا: لا نسلم وجوب المعرفة ولا نسلم انحصار طريقها في النظر.

والمقصـود أن الذين أوجبـوا لله على عبـاده أن يؤمنـوا بـالله ورسـوله وأن يـطيعـوا الله ورسـولـه، فهـذا فـرض على كـل أحـد ووجوب الإيمان بالله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ونصـوص القرآن متظاهرة به، فالعلم بمعرفة الله ضروري وإلاَّ لو كان نـظرياً لكـان يجب على الرسـل أول ما يـدعونهم إلى النـظر، وهذا ممـا علم فسـاده من دين الإسلام، فـإن كل كـافر إذا أراد الـدخول في دين الإسلام أول ما يؤمن بالشهادتين فلو قـال: أنا أقـر بالخـالق، لم يكن بـذلك مسلمـاً ولو قـال: أنا أعـرف الله أنه رب العـالمين ورازقهم ومدبرهم لم يضر بذلك مسلماً فمعرفة الله فطرية حـاصلة لجمهور الخلق.

---

(١) سورة يونس: الآية (١٠١) وتتمتها: ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾.

(٢) سورة سبأ: الآية (٤٦). وتتمتها: ﴿ثم تتفكروا ما بصاحِبِكم من جِنَّةٍ﴾.

(٣) سورة الطارق: الآية (٥).

فإن قيل: إذا كانت معرفته تعالى فطرية ضرورية وهي ثابتة في فطرة كل أحد، وكيف ينكر ذلك كثير من النظار نظار المسلمين أو غيرهم وفي زعمهم أنهم الذين يقيمون الأدلة العقلية على المطالب الإلّهية.

فيقال: أول من عُرف في الإسلام بإنكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذين اتفق السلف على ذمهم من الجهمية[1] والقدرية[2] وهم عند سلف الأمة من أضل الطوائف وأجهلهم. هذا معنى ما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وكذلك ما أركزه الله في فطرة كل أحد أنه إذا دعا لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل يجد في قلبه ضرورة تطلّب العلو، ولهذا قال إمام الحرمين[3] لما أورد عليه معنى هذا قال: خبرني الهمداني.

---

(١) تقدم التعريف بهم.

(٢) القدرية: هم نفاة القدر، ظهرت تلك الفرقة في البصرة وأول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانياً ثم أسلم ثم تنصر، وأخذ عنه معبد الجهني ثم غيلان الدمشقي.
والقدرية أربعة أصناف:
(أ) القدرية النافية.
(ب) القدرية المجبرة.
(ج) القدرية المشركية.
(د) القدرية الإبلسية.
[انظر المذاهب الإسلامية ـ أبو زهرة ـ ص ١١١ ـ ١١٧ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٥٦/٨ ـ ٢٦٢)].

(٣) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني الفقيه الشافعي، ولد في جوين من نواحي نيسابور ورحل إلى بغداد وتفقّه بها، وخرج إلى مكة فجاور فيها أربع سنين، وبالمدينة، فلهذا قيل له إمام الحرمين، ثم عاد إلى نيسابور وبها مات سنة (٤٧٨هـ) كان رحمه الله إماماً من أئمة الشافعية، برز في كثير من العلوم كالأصول والفقه والأدب وغيرها من مؤلفاته: «البرهان في أصول الفقه» و«الإرشاد» و«الشامل في العقائد» وغيرها. وكان على مذهب وطريقة أئمة الأشاعرة.
=

وأما العلم الذي لا يحصل إلاّ بالنظر فيجب لأجله النظر لفهم القرآن الذي لا يحصل إلاّ بتدبره والنظر فيه وكذلك يجب النظر في مسائل النزاع التي لا يعلم الحق فيها إلاّ بالنظر فإذا أراد معرفة الحق فيها وجب عليه النظر فإذا اجتهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه وأداه النظر إلى غير الحق فيها فخطؤه مغفور له وله أجر اجتهاده، وإن أصاب الحق فله أجران[1].

فالله تعالى يلهمنا الرشاد. ويوفقنا للسداد. في أقوالنا وأفعالنا مما يحبه ربنا ويرضاه ويفعل ذلك بإخواننا من المؤمنين آمين إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

[تمت الرسالة]

= [انظر وفيات الأعيان (٣/١٦٧) والمنتظم (٩/١٨) وتبيين كذب المفتري (ص ٢٧٨) وشذرات الذهب (٣/٣٥٨)].

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣/٣١٨ رقم ٧٣٥٢) ومسلم (٣/١٣٤٢ رقم ١٧١٦) وابن ماجه (٢/٧٧٦ رقم ٢٣١٤) وأبو داود (٤/٧ رقم ٣٥٧٤).
من حديث عمرو بن العاص. قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهدَ ثم أصاب فله أجران، وإذا حكمَ فاجتهدَ ثم أخطأ فله أجر».

● وأخرجه الترمذي (٣/٦١٥ رقم ١٣٢٦) والنسائي (٨/٢٢٣ رقم ٥٣٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهدَ فأصاب فلَهُ أجرانِ، وإذا حكم فاجتهدَ فأخطأ، فله أجرٌ واحد».

وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد صححه الألباني في الإرواء (٨/٢٢٣ رقم ٢٥٩٨) والشيخ عبد القادر الأرنؤوط في تخريج «الجامع» (١٠/١٧١ رقم التعليقة ٢).

الفهارس

(١)
ثبت مصادر ومراجع التحقيق والتخريج

١ ـ الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة، ويليها أحكام الجمعة وبدعها. الألباني.

٢ ـ أخبار القرامطة في الأحساء الشام اليمن العراق. سهيل زكار.

٣ ـ إصلاح المساجد من البدع والعوائد. القاسمي.

٤ ـ إعراب القرآن. النحاس.

٥ ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. لخير الدين الزركلي.

٦ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. ابن قيم الجوزية.

٧ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام. الخطيب البغدادي.

٨ ـ تاريخ الثقات. العجلي، بترتيب: الهيثمي، وتضمينات الحافظ ابن حجر العسقلاني.

٩ ـ التاريخ الكبير. البخاري.

١٠ ـ التبيان في إعراب القرآن. العكبري.

١١ ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. ابن عساكر الدمشقي.

١٢ ـ تخريج أحاديث إحياء علوم الدين. محمود الحداد.

١٣ ـ تذكرة الحفاظ. للإمام الذهبي.

١٤ ــ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. للقاضي عياض.

١٥ ــ تقريب التهذيب. ابن حجر العسقلاني.

١٦ ــ تلبيس إبليس. ابن الجوزي البغدادي.

١٧ ــ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة. ابن عراق الكناني.

١٨ ــ تهذيب الأسماء واللغات. النووي.

١٩ ــ تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني.

٢٠ ــ جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ. ابن الأثير الجزري.

٢١ ــ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله. ابن عبد البر.

٢٢ ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري.

٢٣ ــ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي. محمد بن عيسى بن سورة.

٢٤ ــ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون. عبد رب النبي بن عبد رب الرسول.

٢٥ ــ الجامع لأحكام القرآن. القرطبي.

٢٦ ــ الجرح والتعديل. للإمام الحافظ شيخ الإسلام الرازي.

٢٧ ــ حاشية الجمل على الجلالين. للشيخ سليمان الجمل.

٢٨ ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. الأصبهاني.

٢٩ ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور. السيوطي.

٣٠ ــ الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة. السيوطي.

٣١ ــ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرّفة. الكتاني.

٣٢ ــ الزهد. للإمام وكيع بن الجراح.

٣٣ ــ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الألباني.

٣٤ ــ السنة. تأليف محمد بن نصر المروزي.

٣٥ ــ السنة. أبي عاصم الضحاك.

٣٦ ـ سنن أبـي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. ومعه كتاب معالم السنن للخطابـي.

٣٧ ـ سنن الحافظ أبـي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه.

٣٨ ـ سنن الدارمي. للإمام الكبير أبو محمد الدارمي.

٣٩ ـ السنن الكبرى. للإمام الحافظ البيهقي. وفي ذيله الجوهر النقي.

٤٠ ـ سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي.

٤١ ـ السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات. الشقيري.

٤٢ ـ السيرة النبوية. لابن هشام مع شرح أبـي ذر الخشني.

٤٣ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ابن العماد الحنبلي.

٤٤ ـ شرح السنة. تأليف: الإمام البغوي.

٤٥ ـ شرح معاني الآثار. الطحاوي.

٤٦ ـ شعب الإيمان. البيهقي.

٤٧ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة.

٤٨ ـ صحيح البخاري.

٤٩ ـ صحيح مسلم

٥٠ ـ الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد. الشوكاني.

٥١ ـ الصوفية نشأتها وتطورها. تأليف: محمد العبده طارق عبد الحليم.

٥٢ ـ طبقات الحنابلة. للقاضي أبـي الحسين محمد بن أبـي يعلى.

٥٣ ـ طبقات الشافعية الكبرى. تأليف: عبد الوهاب السبكي.

٥٤ ـ طبقات الصوفية. للإمام أبـي عبد الرحمن السلمي.

٥٥ ـ طبقات المفسرين. تصنيف: السيوطي.

٥٦ ـ طبقات المفسرين. تصنيف: الداوودي.

٥٧ ـ العبر في خبر من غبر. الذهبي.
٥٨ ـ العلل المتناهية في الآحاديث الواهية. ابن الجوزي.
٥٩ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني.
٦٠ ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني. تأليف: أحمد عبد الرحمن البنا.
٦١ ـ الفرق بين الفرق. تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي.
٦٢ ـ فضائل الأوقات. البيهقي.
٦٣ ـ فوات الوفيات والذيل عليها. محمد بن شاكر الكتبي.
٦٤ ـ القاموس المحيط. الفيروزآبادي.
٦٥ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري.
٦٦ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة. الهيثمي.
٦٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. العجلوني.
٦٨ ـ كشف الظنون. لحاجي خليفة.
٦٩ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري.
٧٠ ـ اللآلىء المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف: التذكرة في الآحاديث المشتهرة. الزركشي.
٧١ ـ لسان العرب. للإمام العلامة ابن منظور.
٧٢ ـ لسان الميزان. ابن حجر العسقلاني.
٧٣ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. الهيثمي.
٧٤ ـ المجموع شرح المهذب. للإمام النووي والسبكي والمطيعي.
٧٥ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

٧٦ ــ مختار الصحاح. للشيخ الإمام محمد بن أبـي بكر بن عبد القادر الرازي.

٧٧ ــ مختصر سنن أبـي داود. للحافظ المنذري.

٧٨ ــ المستدرك على الصحيحين. للإمام الحاكم النيسابوري.

٧٩ ــ مسند أبـي عوانة للإمام الجليل أبـي عوانة يعقوب ابن إسحاق الإسفراني.

٨٠ ــ مسند أبـي يعلى الموصلي. تأليف: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي.

٨١ ــ المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

٨٢ ــ المسند للإمام أحمد بن حنبل. وبهامشه: منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي..

٨٣ ــ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه. البوصيري.

٨٤ ــ المصنف في الأحاديث والآثار. تأليف: الحافظ أبـي بكر ابن أبـي شيبة.

٨٥ ــ المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر. الزركشي.

٨٦ ــ المعجم الأوسط. للحافظ الطبراني.

٨٧ ــ معجم البلدان. ياقوت الحموي.

٨٨ ــ معجم الشعراء. للمرزباني.

٨٩ ــ المعجم الكبير. للحافظ أبـي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

٩٠ ــ معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. عادل نويهض.

٩١ ــ المغني. ابن قدامة.

٩٢ ــ الملل والنحل. الشهرستاني.

٩٣ ــ المنار المنيف في الصحيح والضعيف. لابن قيم الجوزية.

٩٤ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. ابن الجوزي.

٩٥ ــ المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ. للإمام ابن الجارود.

٩٦ ــ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. ابن تيمية.

٩٧ ــ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان. الهيثمي.

٩٨ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. يوسف بن تغري بردى الأتابكي.

٩٩ ــ هذه هي الصوفية. تأليف: عبد الرحمن الوكيل.

١٠٠ ــ وفيات الأعيان وإنباءُ أبناءِ الزمان. ابن خلكان.



(٢)

فهرس الأعلام المترجم لهم حسب ورودهم في الرسالة

الاســم	الصفحة

الاسم	الصفحة
٤٣ ـ ابن خميس الموصلي	٦٨
٤٤ ـ ابن عربي	٧٥
٤٥ ـ أبو القسام أحمد بن قسي الأندلسي	٧٧
٤٦ ـ أبو بكر النقاش	٨١
٤٧ ـ الخلال	٨٤
٤٨ ـ الزهري	٨٥
٤٩ ـ الفريابي	٩٣
٥٠ ـ ابن عبد السلام	٩٤
٥١ ـ أبو يعلى . القاضي	٩٩
٥٢ ـ أبو جعفر السِّمناني	١٠٢
٥٣ ـ أبو الخطاب البغدادي	١٠٣
٥٤ ـ ابن عقيل البغدادي	١٠٣
٥٥ ـ أبو إسحاق الإسفراييني	١٠٣
٥٦ ـ إمام الحرمين	١٠٦



(٣)

فهرس الفرق والطوائف

• • •

(٤)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

